مراجعة الكتب

الإسلام
مقدّمة عامّة
تأليف عصام بشير العوف
دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٢٢ ص بالعربيّة، ١٣٢ ص بالإنكليزيّة.

كتاب يلفت النظر من عدّة وجوه: شخصيّة المؤلِّف، مضمون كتابه، أسلوب المعالجة.

ليس من باب المصادفة أن يصدر هذا المصنَّف المتميّز عن الأستاذ عصام بشير العوف -. فالرجل ينتمي إلى أسرة من الأدباء الفاضلين المعروفين بعلمهم وتقواهم وانفتاحهم. وقد سبق لمجلّة المشرق أن نشرت مقالات تناولت أشخاصًا من آل العوف أو كتبًا من تأليفهم أو دراسات بقلم بعضهم. أطلب المشرق ٧٤ (٢٠٠٠): ٥٢٠-٥٢٢، تعريف كتاب العولمة والفاروق للأستاذ حسّان العوف؛ واطلب ٦٨ (١٩٩٤): ٨٣-١١٤، ٣٨٩-٤١٩؛ ٦٩ (١٩٩٥) ٤١١-٤٣٠؛ ٧٣ (١٩٩٩): ١٨٥-٢٢٨، دراسات أدبيّة وفكريّة للدكتورة مؤمنة بشير العوف؛ وراجع ٧١ (١٩٩٧): ٣٩٥-٤٢٦، دراسة للمغفور له الدكتور بشير العوف؛ واطلب أيضًا ٦٩ (١٩٩٥): ١٠٥-١١٨، دراسة لنا في الدكتور بشير العوف وكتابه تعاليم الإسلام. وإن قصرنا حكمنا هذا على مَن غيّبه الموت، أي الدكتور بشير، لذكّرنا أنّ كتاباته، كما وصفناها، تميّزت بأنّها جمعت بين التمسّك بتعاليم الإسلام الأصليّة، والانفتاح على سائر المعتقدات، والروح السمحاء والاعتدال والتيسير. فلا غرو أن يكون الأستاذ عصام برٌّ أبيه في هذا المجال.

وبالعودة إلى مضمون الكتاب، فيخبرنا مصنِّفُه بادئ بدء أنّه جعله لتعريف الدين الإسلاميّ لمَن يجهله، بمَن فيهم المسلمون الذين لم يتسيّروا إليه سوى لكونه ظاهرةً سوسيوليجيّة، وبخاصّة الذين هم الآن في الغرب، ولهذا السبب الأخير أُلحق النصّ العربيّ بترجمته إلى الإنكليزيّة. وتُسّم الكتاب، بعد المقدّمة، إلى ثلاثة أقسام، أُفرد أوّلها للكلام في ماهيّة الدين، و«الله جلّ جلاله»، و«محمّد رسول الله»، و«المذاهب الإسلاميّة»، و«المحدِّثون والمفسِّرون»، و«الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب» من أئمّة العصر الحديث. وخُصّص القسم الثاني بمختارات من أحكام الإسلام في أمور عديدة، كحقّ الحياة وحقّ التملّك والجهاد والربا والرقّ والمضاربة والشركة، وغيرها كثير. وتناول القسم الثالث «محطّات إسلاميّة معاصرة» نذكر منها: «بين المذاهب الإسلاميّة والاجتهاد»، «الإسلام والعرب...»، «الحوار الإسلاميّ المسيحيّ بين الدعوة والتبشير»، «الجهل والتطرّف... إلى متى؟»، «الإسلام والعلمانيّة». وينتهي القسم الأخير هذا بفصل هو بالحقيقة مسك الختام وعنوانه «الحبّ... سيّد القيم وأعلى درجات الإيمان». فمن عَرْضنا السريع هذا لموضوعات الكتاب، يبدو جليًّا أنّه مختصر مفيد لتعاليم الإسلام، ينتفع منه المسلم وغير المسلم على حدّ سواء.

ويرتاح القارئ إلى مصنّف الأستاذ العوف لسبب آخر هو معالجته الأمور معالجة رصينة تسعى جهدها لتسير ما عسر، وتفهُّم مواقف غير المسلمين، لا سيّما المسيحيّين، في ما هو مختلف بين أتباع الديانتين.

ونحن إذ نشاطر المؤلّف نظرته إلى سموّ الحبّ كما أسلفنا منذ قليل، نشاركه أيضًا قوله إنّ العبادة والتمسّك بأهداب الدين والإيمان هما أساس كلّ حضارة (ص ص ٥٧-٥٩) ويحضرنا هنا البيت الذي أنشده قديمًا لَبِيد بن أبي ربيعة:

ألا كلّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكلّ نعيمٍ لا محالةَ زائل

ومع المؤلّف أيضًا ننبذ التطرّف والتعصّب، فكلاهما ذميم يزايد على الله سبحانه الذي يحترم حرّيّتنا ويعاملنا بالرحمة.

إلّا أنّنا نودّ أن نلفت نظر الأستاذ الكريم إلى بعض الأمور التي نرى أنّه بالغ فيها، لا لسبب إلّا لانتفاعه المحمود وغيرته الشريفة على إظهار سموّ دينه. من ذلك إعلانه أنّ الديمقراطيّة والشورى لم تأتيا إلى الغرب إلّا عن طريق الإسلام (ص ١٠٠)، وهذا فيه نظر، إذ نسي الأستاذ العوف ما كان عند اليونان وسواهم من القدماء، من ممارسة الديمقراطيّة، وما ورد في الكتاب المقدّس عن اتّباع مبدأ الشورى سواء في العهد القديم بين شيوخ اليهود، أو في العهد الجديد منذ أخذ رسل المسيح - الحواريّون - يلتئمون في مجامع للتشاور، وقد نسج خلفاؤهم على منوالهم. وهنا نسمح المؤلّف عذرًا ونبدي استغرابنا لما أورده من قول الدكتور معروف الدواليبي إنّ جان جاك روسّو استوحى مذهبه في «العقد الاجتماعيّ» من صديقه المغربيّ المسلم «بو زيد» الذي سُمّي شارع من شوارع باريس باسمه (ص ١٠١-١٠٢). ويا ليت الأستاذ العوف ذكر لنا اسم الشارع بالفرنسيّة - علمًا أنّنا عُدنا إلى دليل شوارع باريس فلم نجد له أثرًا -، ومرجع الدكتور الدواليبي ليعود إليه القارئ ويتثبّت من الأمر بدوره، كما هو مألوف في الأبحاث العلميّة.

ومن المبالغات التي لا نراها ملائمة، لجوء المؤلّف في غير موضع إلى المقارنة بين حضارة الإسلام وغيرها من الحضارات، ورأينا أنّ أسلوب المقارنة سيف ذو حدّين، إذا خانى المرء شعابه، دخل بابَ الردّ والردُّ المعاكس ممّا لا كثير طائل تحته، والأفضل الاكتفاء ببيان الأمور، لا سيّما إذا توجّه الكاتب إلى الناس المثقّفين.

ولنا ملاحظة على موقف الأستاذ العوف من العلمانيّة (ص ١١٦-١١٧) إذ نرى فيه بعض التناقض. فهو يبدأ ويقرّ بأنّه لا علمانيّة في الإسلام، ونحن نحترم رأيه كلّ الاحترام، ويقول بعد ذلك، مفهّمًا موقف العلمانيّين المعتدلين: «يجب القول إنّ العلمانيّة لا تعني ألّا دين، ولكنّها تعني الاحترام لجميع الأديان والعقائد والكفر أيضًا» (ص ١١٦ في أسفلها). إلّا أنّه يزيد في الصفحة التالية ما يناقض قوله الأوّل: «تنبّه المخلصون للمسيحيّة بأن يتادرا إلى العلمانيّة أي الحياد واحترام العقائد المسيحيّة المختلفة، ومن هنا نشأت العلمانيّة، ويقولون هذه الأيّام إنّ علمانيّتهم هي الاحترام بين الأديان جميعًا. وهذا غير صحيح، فجميع الأديان لا يقبلون بها، وتقوم علمانيّتهم على العنصريّة الدينيّة وهي الاعتراف

والاحترام للدين المسيحيّ دون غيره من الأديان» (ص ١١٧). والمبالغة هنا ظاهرة، إذ يخلط المؤلّف بين مبدإ العلمانيّة وتطبيقه في بعض المجتمعات. أمّا المبدأ فهو القول المأثور: «الدين لله والوطن للجميع» وذلك من أجل أن يكون ساتر الناس سواسية في البلد الواحد ويمارس كلّ فرد الدين الذي يمليه عليه ضميره. والكنيسة الكاثوليكيّة في مواجهتها موضوع الزواج، على سبيل المثال، إذ ينطلق من قول السيّد المسيح: «أدّوا لقيصر ما لقيصر ولله ما لله» (متّى ٢٢: ٢١) لا يمكنها أن تطالب بالزواج الدينيّ إلّا أعضاءها المؤمنين، أمّا الذين يرفضون المجاهرة بإيمانها فلا تستطيع إكراههم على الزواج في كنائسها ولا هي تريد، وإنّها مضطرّة إلى احترام موقف الملحدين، سواء أكانوا من أبنائها السابقين أو سواهم.

وما دمنا في باب التصويبات، نشير إلى بعض الهفوات، عسى أن يتمّ تصحيحها في طبعة لاحقة. فقد ورد في الصفحة ١٠٤ أنّ واضع التقويم الغريغوريّ هو الإمبراطور غريغوريّ الثالث عشر، والحقيقة أنّه البابا غريغوريوس الثالث عشر. - وجاء في الصفحة ١١٥ من النصّ الإنكليزيّ أنّ التقويم الغريغوريّ وُضع في أيّام يوليوس قيصر، في حين أنّ الإمبراطور يوليوس قيصر قد أشرف على وضع التقويم اليُولي لا الغريغوريّ. - وورد اسم الكاتب المفكّر الفرنسيّ روسُّو في النصّ الإنكليزيّ مشوّهًا دائمًا، تارةً بصيغة Rossau وطورًا بصورة Roussau، والصحيح هو Rousseau.

هذا ما لزم، ونكرّر أنّ الهنات الأخيرة والمبالغات التي أشرنا إليها بصراحة الصديق الذي يصدق، هيهات أن تحجب حسنات الكتاب الجمّة، ونعود ونشكر للأستاذ عصام بشير العوف عمله القيّم وروحه السامية وقصده النبيل.

الأب كميل حشيمه اليسوعيّ

المسلمون والنصارى. التعامل من منظور إسلاميّ

تأليف عبد الرحمٰن حُطبة

دار الأوزاعي، بيروت، ٢٠٠٠، ١٤٣ صفحة

يُلخّص المؤلّف غايته من هذا الكتاب في المقدّمة حيث يقول: «غرضنا من هذا الكتاب هو عرض وجهة نظر إسلاميّة حول كيفيّة تعامل المسلمين مع النصارى من منظور إسلاميّ، وتأكيد الجوانب الإيجابيّة بينهما، والتركيز على نقاط الالتقاء، مذكّرين المسلمين بما يفرضه عليهم دينهم من هذا التعامل، وكاشفين أمام المسيحيّة بعض حقائق ديننا تجاههم، وموضحين للغافلين من الفئتين بعض الحقائق التي درجوا على فهمها خطأ» (ص ٧). ولكي يبلغ هدفه، اعتمد طريقة الانطلاق من النصوص الأصليّة، مسلمة كانت أو مسيحيّة، ثمّ أتبعها بمنهج تحليليّ. فهذا الأسلوب يزول إلى تحاشي الأغلاط التي «وقعت في التعامل بين المسلمين والنصارى عبر التاريخ. والأغلاط لا تُؤسَّس عليها مواقف ولا علاقات، لأنّ أيّ تقويم لسلوك الفريقين تجاه بعضهما يجب أن يبنى على تعاليم الدين المستمدّة من

نصوصه ووثائقه، لا من خلال ممارسة أتباعه» (ص ١٢).

أمّا أقسام الكتاب فهي تسعة فصول، تضاف إليها المقدّمة والتمهيد والخاتمة، إضافةً إلى كشّاف المصادر والمراجع. ولا ريب أنّ القارئ يلاحظ حرص المؤلّف على الموضوعيّة والصراحة في عرضه موضوعات الفصول، وذلك بأسلوب سلس بعيد عن التكلّف. وفي شأن الموضوعات نفسها، فمن الواضح أنّ المؤلّف لم يخترها عشوائيًا، بل كانت بدون شكّ نتيجة تبصّره وإدراكه أهمّ ما يُثار في اللقاء الإسلاميّ المسيحيّ من قضايا، هي بكلّ تأكيد أساسيّة في سبيل بنيان حوار يسوده التفاهم والتعاون والتسامح.

يستهلّ المؤلّف فصوله بتناول مسألة «نظرة الإسلام إلى النصرانيّة»، فيشدّد على نظرة الإنصاف والتسامح والاحترام المتبادل والقيَم الإنسانيّة التي تدعو إليها الديانتان. وانطلاقًا من حرصه على الإنصاف في جوّ المصارحة السلميّ، يدعو إلى «إثارة جميع الزوايا التي تحتمل أن يكتنفها غموض أو فهم مغلوط... ومن هذه الأمور قضيّة يثيرها بعض جهلة المسلمين، يزعمون فيها أنّ نصارى اليوم في عقائدهم هم غير النصارى الذين ورد ذكرهم في القرآن» (ص ٢٨). فيشدّد الدكتور عطية في هذا السياق على أنّ «نصارى اليوم في عقائدهم هم أنفسهم أيّام الرسول». غير أنّ هذه الملاحظة تستحقّ أن تتوقّف عليها قليلًا، لا بدافع الجدل، بل من باب حرصنا على الموضوعيّة. فنحن نرى أنّ المؤلّف تسرّع قليلًا في الحكم على هذا الموضوع، إذ لا بدّ من التمييز بين العقائد، لا سيّما وأنّ الدكتور عطية يستشهد بآية من القرآن الكريم فيها إشارة إلى ألوهيّة مريم وعيسى (المائدة ١١٦). غير أنّ المسيحيّين الذين يجاهرون بأنّ المسيح هو كلمة الله وابنه، لم يؤلّهوا يومًا مريم العذراء. فمن المحتمل أنّ الرسول محمّد قد اتّصل ببدع، وما كان أكثرها، لم تسلّم الكتبة الرسوليّة مطلقًا بصحّة تعاليمها.

أمّا في الفصل الثاني، وهو بعنوان «مريم وعيسى عليهما السلام»، فيتوقّف المؤلّف على حقائق التعاليم التي ينطوي عليها القرآن والحديث الشريف في شأن المسيح وأمّه، موضحًا «بأنّ المسلمين حين يحيطون عيسى وأمّه عليهما السلام بهالات من التقدير، إنّما يفعلون ذلك، لا من باب المجاملة، وإنّما يفعلونه بدافع من إيمانهم، واستجابة منهم لأمر الله، وإثباتًا لعلمهم اليقينيّ به» (ص ٤٠). ثمّ يتنقل، في الفصل الثالث، إلى معالجة موضوع «أهل الكتاب وأهل الذمّة». فيوضح مضمون مصطلح «أهل الذمّة»، مبيّنًا تعاليم الصحابة والخلفاء والفقهاء الداعية إلى احترام الآخرين وحمايتهم. أمّا في الفصل الرابع والخامس بعنوان «أوجه اللقاء في العقائد وفي السلوك»، فيبرز المؤلّف منزلة القيَم المشتركة بين الديانتين، مثل «الغفران والرحمة والمحبّة والتعاطف والتسامح بين الخلق جميعًا، وفي ذلك كسب كبير للإنسانيّة التي بدأت تفقد روحها وطبيعتها» (ص ٥٥). لذا، يجب ألّا تحول الفروقات العقائديّة التي لا يمكن تجاهلها دون تضافر جهود الخيّرين من مسلمين ومسيحيّين في سبيل الدفاع عن الإيمان بالله ونشر العدالة وصون الأخلاق.

أمّا الفصل الخامس، بعنوان «المسيحيّة والغرب المسيحيّ»، فقد قسمه المؤلّف إلى قسمين: حمل القسم الأوّل عنوان «العدوان»؛ والثاني «البهتان». وبعد أن ميّز بين «الدين»

وتصرّفات بعض معتنقيه، حتّى لا تحمّل المسيحيّة وزر المآسي التي ألحقها الغرب بالإسلام والمسلمين (ص ٧٢)، يستعرض بوجازة «حروب الفرنجة»، التي لم تكن حوافزها دومًا دينيّة، «بل كان الكثير منها محكومًا بأطماع سياسيّة واقتصاديّة» (ص ٧٧). ومن ثمّ يتكلّم على «استمرار روح الحروب الصليبيّة حتّى العصر الحديث» (ص ٨٠)، التي تُرجمت باحتلال البلاد الإسلاميّة وتقسيمها ونهب ثرواتها في أعقاب الحرب العالميّة الأولى، وزرع «جسم غريب في قلب ديارهم هو إسرائيل» (ص ٨١). وما برح الغرب الآن يستمدّ من عدوانيّته عن طريق العولمة ووضع خططًا مستقبليّة «لمحاربة الإسلام تحت شعار (صراع الحضارات)» (ص ٨٣)، مشيرًا إلى أنّ شخصيّات رنات تطوّعت لهذه الغاية، متوقّفًا عند مؤلّفَيْن معروفَيْن خدما هذا التوجّه، هما فرنسيس فوكوياما وصموئيل هنتينغتون.

وفي القسم بعنوان «البهتان»، يستنكر الدكتور عطية حملات التجنّي والتشهير بالإسلام ونبيّه، التي قام بها بعض المفكّرين الغربيّين، منبّهًا، في الوقت نفسه، إلى أنّ ثمّة مفكّرين مسيحيّين غربيّين يستقبحون الإجحاف بحقّ الإسلام. وقد تناول المؤلّف هذا الأمر بشيء من التفصيل في الفصل السابع بعنوان «الإنصاف»، فأشار إلى تعاليم الكنيسة الكاثوليكيّة في شأن الحوار والاحترام، إضافة إلى مواقف عدد من رجال الدين المسيحيّين الذين «يتّخذون مواقف من الإنصاف لا تثير الإعجاب فحسب، بل يقف المسلم المنصف تجاهها بإجلال وتقدير» (ص ١٠٦).

غير أنّنا نسمح لأنفسنا، في هذا الموضوع، ومن باب حرصنا على الموضوعيّة أيضًا، بأن نوجّه ملاحظة نرجو أن يتقبّلها المؤلّف بصدر رحب، تتّصل ببعض الحملات المسيئة التي يشنّها بعض المفكّرين المسلمين على المسيحيّين في الشرق. ففي نظرنا كان الكتاب أكمل لو خصّ المؤلّف فيه فصلًا عن تلك النشرات والكتب التي تصدر في شرقنا (راجع على سبيل المثال مقالة الأب كميل حشيمه بعنوان «هل يجوز تكفير المسيحيّين؟ قراءة من واقع الحياة في كتابيّن»، في: المشرق، كانون الثاني - حزيران، ٢٠٠٠).

وبعد أن يستعرض المؤلّف، في الفصل الثامن بعنوان «ضرورات الحوار»، تلك المبادئ التي يقوم عليها حوار سليم ومثمر، ولا سيّما التساوي بين المتحاورين والإقلاع عن الجدل العبثيّ والتحلّي بحسن النيّة، يذكّر، في الفصل التاسع والأخير، بتوصيات ومقرّرات «ندوة الحوار الإسلاميّ المسيحيّ» المنعقدة في طرابلس الغرب العام ١٩٧٦.

لا شكّ في أنّ هذا الكتاب، بفضل ما ينطوي عليه من موضوعيّة وحسن نيّة، يساهم في إرساء أسس التفاهم والإخاء بين المسيحيّين والمسلمين في عالمنا العربيّ، ويضع الخطوط العريضة التي تؤلّف لهم «قضيّة مشتركة».

أ. ص. أبو جوده

عالم واحد للجميع
سلسلة «المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون»، رقم ١٢
أندراوس بشته، عادل تيودور خوري ومجموعة مشاركين
منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، ٢٠٠٠، ٥٠٤ صفحات

جُمعت في هذا الكتاب مداخلات عدد من المشاركين في أعمال المؤتمر المسيحيّ الإسلاميّ الدوليّ الثاني، المنعقد في فيينّا من ١٣ إلى ١٦ أيّار ١٩٩٧. وقد أدرجت في الكتاب أيضًا كلمات التحيّة التي وجّهها إلى المؤتمرين بعض المراجع السياسيّة والدينيّة والعلميّة، إضافة إلى مضابط جلسات المناقشة وتوصيات المؤتمر. على أنّ فهرس المحتويات أُسقط من الكتاب، وهذا لا يسهّل على القارئ أن يلقي نظرة شاملة إلى محتويات الكتاب، ولا أن يعود إليها بسهولة.

نتج موضوع المؤتمر من أعمال المؤتمر الأوّل الذي عقد في فيينّا أيضًا العام ١٩٩٣، وكان موضوعه «سلام البشر» (ص ٤٩٥). فالمشاركون في المؤتمر الأوّل لاحظوا أنّ العولمة تتفشّى في مختلف الحقول، الأمر الذي يولّد حالة توتّر. لذا، ترتّب على المسلمين والمسيحيّين «الاشتراك في البحث عن طرق جديدة تمكّن العالم، في تيّار توثّق وحدته، من أن يتجنّب خطر الانقلاب إلى ميدان نزاع على الصعيد الإقليميّ أو العالميّ، ومن أن يُضحّي بالعكس وطنًا للجميع» (ص ٤٩٦).

إنطلاقًا من تلك الإشكاليّة، تركّزت أعمال المؤتمر، الذي شاء منظّموه أن يكون مؤتمرًا علميًّا غير سياسيّ (ص ٢١)، على ثلاثة محاور مترابطة.

في المحور الأوّل، كانت مداخلتان بعنوان «التأكيدات الدينيّة بامتلاك الحقيقة وعلاقتها بالتعدّديّة الاجتماعيّة السياسيّة». ألقى المداخلة الأولى الأب كريستيان ترول اليسوعيّ، والثانية السيّد محمّد الخامتي. ركّز الأب ترول على تعاليم الكنيسة الكاثوليكيّة في شأن حقوق الأفراد والجماعات في الحرّيّة الاجتماعيّة والمدنيّة في ما يتّصل بالشؤون الدينيّة، فتوقّف على مسألة الحرّيّة الدينيّة وفصل الدين عن الدولة، مشدّدًا على أنّ تعزيز العدالة والحوار بين الأديان هما من صلب شهادة الكنيسة. أمّا السيّد محمّد الخامتي، فقد بنى مداخلته على حديث شهير للرسول محمّد، وعلى قول للإمام عليّ، فاستعرض أربعة عناصر ينطوي عليها القولان: التذكير بالأصل والنسب الإنسانيّ المشتركين، وبقدرة الأديان السماويّة على أن تكون دليل المجتمع البشريّ نحو عالم يؤلّف أسرة واحدة، والتشديد على كرامة الإنسان الطبيعيّة وكرامته المكتسبة (ص ١٤١)، والتركيز على العرفان الذي هو ذروة التعدّديّة الإسلاميّة. ثمّ توقّف على حدود التعدّديّة وشروطها، وهي تدور أساسًا على احترام سيادة الدول وشعوبها احترامًا متبادلاً.

أمّا المحور الثاني فجمع محاضرتين بعنوان «البنى القانونيّة والضمانات السياسيّة للتعدّديّة على الصعيد الوطنيّ والدوليّ». كانت المحاضرة الأولى للسيّدة ناصرة إقبال، والثانية للسيّد هاينرخ شنايدر. تشدّد السيّدة إقبال على «أنّ مشاكل التعدّد الثقافيّ والأقلّيّات

الدينيّة كامنة في طبيعة التعايش الاجتماعيّ»، ومثلها الحلول. وبعد أن ذكّرت بتعاليم الإسلام التي تقضي باحترام عادات الجماعات الأخَر وقوانينها ومؤسّساتها المختلفة، أشارت إلى التحدّيات المعاصرة لمجتمع تعدّديّ يجمع المسلمين والمسيحيّين بسبب الأحكام السابقة والخاطئة، داعية الدول إلى اتّخاذ قرارات دستوريّة وإجراءات قانونيّة جريئة تحمي التعدّديّة، وجماعة الدول إلى تأمين حوار يساوي في ما بين المتنازعين. أمّا السيّد هاينرخ شنايدر، فيسعى ليقدّم تفسيرًا للفظة «التعدّد» و«التعدّديّة»، من الناحية الفلسفيّة والاجتماعيّة والدينيّة، ويختم بتطلّعات سياسيّة تهدف إلى تحقيق نظام تعدّديّ (ص ٣٣٦-٣٤٩).

أمّا المحور الثالث والأخير، فقُدّمت فيه مداخلتان: الأولى بعنوان «الهويّة الثقافيّة ومسألة إنشاء ثقافة عالميّة»، للسيّد محمّد طالبي؛ والثانية بعنوان «الهويّة الثقافيّة ومشكلة ثقافة عالميّة»، للسيّد فولكمار كولر. يستعرض السيّد طالبي نقاط الائتلاف والاختلاف في الثقافات من زاوية «العالم المتعدّد»، و«تعدّد الأديان»، ويتوقّف على إمكانيّة التوصّل إلى أخلاقيّات شاملة في عالم بلا حدود. ويتكلّم السيّد فولكمار كولر على مسائل الاستقلال والخير العامّ والتأصّل في جماعات تتكوّن منها الهويّات في ظلّ تحدّيات العولمة، مركّزًا على المنزلة التي يجب أن يكتسبها الخطاب الأخلاقيّ المعقول بين بشر ينتمون إلى ثقافات مختلفة.

أ. ص. أبو جوده

الإسلام يسائل المسيحيّة في شؤون اللاهوت والفلسفة
تأليف أندراوس بنّيه، عادل تيودور خوري ومجموعة مشاركين
سلسلة «المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون»، رقم ١٣
منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه، ٢٠٠٠، ٥٣٢ صفحة

لا شكّ في أنّ إنسان عالمنا المعاصر يعي بتزايد تعدّد الثقافات والديانات. على أنّ هذا الواقع يؤدّي حتمًا إلى طرح تساؤلات كثيرة على المسيحيّة. وإذا كان قد سبق أن واجهت الكنيسة منذ نشأتها ثقافات وديانات عديدة، فهي تبدو اليوم إزاء وضع جديد يجعل الحوار الموضوعيّ المتعمّق بينها وبين باقي الديانات، في منزلة خاصّة. وانطلاقًا من هذه الملاحظات، يبرز هذا المصنَّف محاولةً لإرساء قواعد متينة من شأنها أن تساهم في دفع الحوار الإيجابيّ بين المسيحيّة والإسلام إلى الأمام.

يضمّ الكتاب عددًا من محاضرات اختصاصيّين بالعلوم الإسلاميّة والحوار الإسلاميّ المسيحيّ، إضافةً إلى الأسئلة والمناقشات التي تبعت المحاضرات، وقد قُسّمت إلى قسمين: تسم أوّل هدف فيه المشاركون إلى التعمّق في الموضوع المتناول؛ وقسم ثانٍ تناولوا فيه بعض مسائل الحوار اللاهوتيّ بين الديانتَين. وتجدر الإشارة إلى أنّ أسئلة المشاركين «تعرب عن نوعيّة الوعي الذي يواجه الإسلام اليوم في القطاع الأوروبيّ من قِبَل

لاهوتيّين مسيحيّين، وبالتالي من قِبَل المسيحيّين إجمالاً. وبذلك تتّضح علاقة عقائد الإيمان الإسلاميّ بالإيمان المسيحيّ، فيصير الإسلام سؤالاً موجّهًا إلى المفهوم المسيحيّ للإيمان يُعبِّر عنه بطريقة حيّة» (ص ١٢).

بلغ عدد المحاضرات عشرًا، دارت موضوعاتها على نبيّ الإسلام بصفته خاتم النبيّين والمُرْسلين، ووحدانيّة الله المطلقة تبعًا للإسلام، وخلق العالم، ومنزلة الإنسان في الخليقة ومسؤوليّته في نظر الإسلام، واختبار التعالي في التصوّف الإسلاميّ، والقرآن بصفته كلام الله النهائيّ في لغة بشريّة، والإسلام بصفته دينًا ومجتمعًا وثقافة، وصراط الإنسان أمام الله، والمشركون واليهود والنصارى في نظر الإسلام. بالطبع، لا حاجة بنا إلى القول إنّ هذه المسائل طالما كانت موضع جدل وحوار وخلاف بين المسيحيّة والإسلام. إلّا أنّ المشاركين شدّدوا في مداخلاتهم على أهمّ أمور هذه الموضوعات، وجملوا في أسئلتهم ومناقشاتهم أهمّ التحدّيات المعاصرة التي تُطرح في شأنها، مثل صحّة النبوّة، والفرق بين مفهوم النبيّ والرسول، والوحي القرآنيّ والتاريخ، وأهداف الشريعة الإسلاميّة، ودور الإنسان في تقدّم المجتمعات، ومشكلات كلام الله في لغة البشر، إلى غيرها من أمور تفيد بلا ريب القارئ الشرقيّ، أمسلمًا كان أم مسيحيًّا، إذ تفسح له في المجال ليكتشف كيف ينظر اختصاصيّون غربيّون إلى مسائل تهمّهم في مجال الحوار والعيش المشترك على السواء.

أ. ص. أبو جوده

التراث المسيحيّ في شمال إفريقيا

تأليف روبين دانيال

ترجمة سمير مالك، بمساعدة م. الخوري وع. المزهر وآخرين

دار منهل الحياة، بيروت، ١٩٩٩، ٤٠٨ صفحات

يحمل هذا الكتاب عنوانًا ثانويًّا هو الآتي: «دراسة تاريخيّة من القرن الأوّل إلى القرون الوسطى»، وسبب توقّفه عند الحدّ الزمنيّ هذا، يعود إلى زوال المسيحيّة الأفريقيّة شبه الكامل في أواخر العصر الوسيط.

إنّ تاريخ الكنيسة في شمال أفريقيا يكاد يكون مجهولاً كلّ الجهل لدى المسيحيّين، حتّى المثقّفين منهم. ولئن توفّرت المراجع الرصينة باللغات الأوروبيّة، فما كُتب بالعربيّة لا يوازي عدده عدد أصابع اليد الواحدة، منها كتيّب نقلناه عن الفرنسيّة لمؤلّفه الأب بولس ديميزيه اليسوعيّ، وعنوانه أسباب زوال الكنيسة في إفريقيا الشماليّة بعد الفتح العربيّ، وقد نشرناه في دار المشرق، بيروت، العام ١٩٩٣. وهذا الكتاب، على صغر حجمه، يرسم صورة واضحة موثّقة مكثّفة للمسألة. وبصدور ترجمة كتاب روبين دانيال إلى العربيّة، يتوفّر بين أيدي القرّاء العرب بحث مسهب يتناول القضيّة من جوانبها كافّة، مستندًا إلى علم وافر وتحاليل دقيقة وروح علميّة واعتدال. ويستعين المؤرّخ بعدد كبير من المراجع والمصادر

الأجنبيّة، كما أنّه ينهل ممّا يوفّره علم الآثار والعاديّات. ومن محاسن الكتاب أيضًا أسلوبه الجذّاب، إذ ينساب العرض برشاقة وطرافة فيطالع القارئ الصفحات وكأنّه يغوص في طيّات رواية شائقة.

يُقسم الكتاب إلى أجزاء أساسيّة خمسة أفرد كلّ منها لحقبة معيّنة. الجزء الأوّل (ص ١٥-٥٤) يتناول القرنين الأوّل والثاني ودخول المسيحيّة إلى شمال أفريقيا. الجزء الثاني يعالج عصر طرطليانس، أي أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث (ص ٥٥-١٤٢)، في حين يدرس القسم التالي، عصر قبريانس وهو يوازي القرن الثالث (ص ١٤٣-٢٢٨). أمّا الجزء الرابع فموضوعه عصر أوغسطينس، أي القرن الرابع وأوائل الخامس (ص ٢٢٩-٣٥٤). وخُصّص الجزء الخامس بأحداث منتصف القرن الخامس وما بعده (ص ٣٥٥-٣٩٨). ويلي هذه الأجزاء الخمسة عدد من الملاحق المفيدة حول أفريقيا الشماليّة وأصولها الثقافيّة، وقوانين الإيمان، ومسألة علم الله السابق وحرّيّة الإنسان، واسم يسوع بالعربيّة (عيسى). كما أفرد الكاتب عددًا من الصفحات في الختام (٤٢٠-٤٢٤) لأسئلة تسهّل التعمّق في البحث وتفتح مجالًا للنقاش الفكريّ والإيمانيّ. وينتهي المصنّف بلائحة مستفيضة للمراجع البيليوغرافيّة وبفهرس مفصّل للأعلام والمفاهيم.

لقد وُفّق المؤلّف إذ رسم، من خلال أجزاء الكتاب الخمسة، نشأة المسيحيّة في تلك البلاد، وحياة جماعاتها على مرّ العصور، وما عانتها من اضطهادات وانشقاقات، وما كانت عليه من تنظيم، وما خلّفته في مجال علم اللاهوت لا سيّما بتأثير عمالقة من أمثال طرطليانس وقبريانس وأوغسطينس. والكاتب ملمّ بالشؤون اللاهوتيّة المذكورة، فيعرض بالتفصيل ويناقش أهمّ القضايا التي واجهها هؤلاء الأساطين كمثل انشقاق الدوناطيّين وأسبابه، والتوتّرات في علاقات كنيسة أفريقيا بكنيسة روما في ما يتعلّق بسلطة البابا، وقضيّة الخلاص والنعمة. إلّا أنّنا لا نشاطر وبين دانيال جميع آرائه لا سيّما عندما يرى أنّ كنيسة روما تصرّفت مع سائر الكنائس تصرّفًا غالبًا ما اتّصف بالتسلّط والهيمنة، متجاوزة بذلك الحدود المفروضة، فينعت تلك التصرّفات بالضلالات. كما أنّه يطلق أحكامًا قاسية على عدد من اعتقادات الكنيسة الكاثوليكيّة، فيقول، على سبيل المثال (ص ٣٦٢-٣٦٣): «كان العديد من معالم الكنيسة البيزنطيّة هذه ينذر بالانحرافات الغريبة التي دخلت إلى الكنيسة الكاثوليكيّة خلال العصور الوسطى: الصلاة من أجل الموتى، شراء صكوك الغفران بالمال، صناعة تماثيل العبادة التي تمثّل يسوع، مريم أو «القدّيسين». كذلك ظهرت أيضًا عقائد غريبة مثل وجود المطهر (...) والاعتقاد بالبتوليّة الدائمة لمريم العذراء، وبكمالها، وكذلك بفعاليّة الصلاة لها». فمثل تلك المواقف مجحف في معظمه، وبعضه محض افتراء (إذ لم يُسمع قطّ أنّ أحدًا بين الكاثوليك ادّعى أنّ مريم العذراء كاملة، فالكمال لله!)، وحبّذا لو بقي المؤلّف موضوعيًّا بدون إطلاق الأحكام.

وممّا نجح الكاتب في بيانه، أسباب زوال الكنيسة في تلك المنطقة، منها: إرتباط الكنيسة المحلّيّة الزائد بسلطات روما الزمنيّة، ما أبقى الإكليروس في واد وجماعة المؤمنين في واد؛ ومنها عدم استعمال لغة الشعب في الطقوس وانعدام ترجمة للكتاب المقدّس

بالأمازيغيّة لسان السكّان الأصليّين، وافتقار الكنيسة إلى حسّ إرساليّ فتقوقعت على ذاتها. كما أنّ البدع والانشقاقات أنخنت الكنيسة بالجراح فأنهكتها، وزاد بالطين بلّة غزوات البرابرة الوندال وكانوا على الأريوسيّة. ولمّا جاء البيزنطيّون في منتصف القرن السادس لم يساهموا كثيرًا في ترسيخ قدم المسيحيّة لعدم اتّصالهم الفعليّ بالشعب، فبنوا المعابد الفخمة التي قال فيها المؤلّف إنّها «كانت بكلّ تأكيد تشيد بعظمة الله، ولكنّها ربّما لا تكشف سوى القليل من محبّته» (ص ٣٦٢). أضف إلى ذلك أنّهم لم يكسبوا عطف الناس لكثرة ما أرهقوهم بالضرائب، فبات الشعب ضعيفًا غير مطمئنّ. ولمّا كرّت هجمات المسلمين في القرن السابع لم تلاقِ مقاومة تذكر، لأنّ الوهن كان قد استولى على الكنيسة من كلّ جانب.

بقي أن نقول كلمة في لغة المترجمين. فهي، والحقّ يقال، سلسة يرتاح إليها القارئ باستثناء بعض الهنات من الأغلاط الشائعة، كالإكثار من استعمال لام الاختصاص في صيغة الإضافة: «الكرّات السريعة للفرسان» (مثلًا: ٣٦٧)، والصحيح: «كرّات الفرسان السريعة». إلّا أنّ ملاحظتنا هي في ما يتعلّق بتعريب الأسماء اللاتينيّة، حيث شاعت الفوضى ولم تراعَ أيّ من القواعد العلميّة. فاسم Augustinus ورد على النحو التالي: «أغسطينوس»، والصواب هو «أوغُسطِينُس» لأنّ النبر في الكلمة اللاتينيّة ليس على المقطع الصوتيّ الأخير بل على الأوّل والثالث، فلا ينبغي استعمال واو المدّ في الآخر بل في البداية. وكذلك القول في كتابة «تبريانوس» (ص ١٥٤) والصحيح «تبريانُس»، كما أنّ الصحيح في كتابة Marcus هو مرقُس لا ماركوس (ص ١١١). ولا يجوز تعريب الأسماء اللاتينيّة عن الصيغة الفرنسيّة مثلًا، كما ورد في ص ٢٢٧ (جيروم، عن الفرنسيّة Jérôme، في حين يجب النقل عن اللاتينيّة = هِيرُونِيمُس. وثمّة قاعدة يجدر بالمعرّبين أن يقفوها في ما يختصّ بنقل التاء الأجنبيّة. فقد درج العرب الأقدمون على تفخيمها فجاءت طاء (طرطليانس، لا ترتوليانوس، ص ٣٥٧)، كما أنّهم قالوا طياريوس لا تياريوس، وقرطاجة لا قرتاجة. وقد وقعنا نحن أنفسنا في هذا الخطأ لما أصدرنا كرّاسنا المذكور في أعلاه، إذ كتبنا «ترتليانس» عوضًا عن طرطليانس. وهنا نحثّ سائر الباحثين في تاريخ المسيحيّة على أن يسيروا بحسب النهج العلميّ الذي اتّبعه الأب صبحي حموي في كتابه معجم الإيمان المسيحيّ (دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨).

وثمّة خطأ آخر ارتكبه مترجمو مؤلّف روبين دانيال، وهو استعمالهم صيغة إفريقيا للدلالة على اسم Afrique. وقد وقعنا نحن أيضًا في هذا الغلط سابقًا. ذلك بأنّ العرب لم يستعملوا كلمة «إفريقيا» (وعلى وجه التحديد: إفريقية بالتاء المربوطة) إلّا للدلالة على بلاد البربر الشرقيّة، في حين أطلقوا على الغربيّة منها اسم «المغرب». أمّا القارّة المعروفة بالقارّة السوداء، فيجدر تعريبها على النحو التالي: أفريقيا، بفتح الهمزة لا بكسرها.

أ. كميل حشيمه اليوحنّا

العائلة المقدّسة في مصر

تأليف أديب نجيب سلامة

دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠١، ١٣٢ صفحة

سبق للباحث والمؤرّخ الأستاذ أديب نجيب سلامة أن نشر على صفحات المشرق في العام الماضي (المجلّد ٧٥ – ٢٠٠٠ – ص ٢٢٣-٢٣٣) مقالًا بعنوان «رحلة السيّد المسيح إلى مصر في تقليد الكنيسة القبطيّة». وها هو اليوم يتوسّع في دراسته توسّعًا ملحوظًا، فيتطرّق أوّلًا إلى وصف مختصر للمجتمع المصريّ في بداية القرن الميلاديّ الأوّل بما في ذلك من أحوال الإدارة والسكّان والبيئة واللغة والدين، ثمّ يعالج الأسس الكتابيّة لمجيء العائلة المقدّسة إلى مصر، فمسار خطّ سيرها في بلاد النيل، ويتوقّف مطوّلًا عند محطّات الرحلة بحسب المصادر المعروفة. وفي الختام يبرز لائحة موسّعة بالمراجع المعتمدة، وقارب عددها الخمسين بين كتاب ومقال، كما ينشر ملحقين، أحدهما روحيّ مقتبس من مقال للبابا شنوده الثالث، والثاني قصيدة في «شجرة العذراء» بالمطربة من نظم الشيخ – الإنجيليّ – الدكتور عزّت زكي. والكتيّب مشفوع بعدد من الخرائط والصور، ما يكمّل فائدته ويجعله من المراجع الثمينة.

أ. ك. حشيمه

قدّيس منسيّ من التراث الأنطاكيّ

قصّة استشهاد مار أنطونيوس رَوْح الدمشقيّ تسبيب هُرون الرشيد

تحقيق وتقديم الأرشمندريت إفناطيوس ديك

حلب: ١٩٩٩، ٢١ صفحة

هذا الكتيّب جليل الأهمّيّة، عميم الفائدة، أصدره حضرة المحقّق لمناسبة مرور ١٢٠٠ سنة على استشهاد أنطونيوس روح في ٢٥ كانون الأوّل من العام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م. وكان قد سبق له أن نشر بحثه هذا بالفرنسيّة في إحدى المجلّات البلجيكيّة المتخصّصة (*Le Muséon*, t. 74 (1961), pp 109-133)، إلّا أنّه نقله هنا إلى العربيّة وأدخل عليه بعض الإيضاحات.

إستند الأب ديك في رواية الخبر إلى نصّ قديم هو مخطوط «سينا (أ)» الذي يعود إلى القرن العاشر، وقارن بينه وبين مخطوطات أخرى ليميّز الغثّ عن السمين، واستعان بدراسات العلّامة اليسوعيّ الأب بترس البالغة التمحيص، آخذًا بعضها ورافضًا بعضها الآخر، حتّى خلص إلى القول بأنّ ما ورد في السيرة هو، باستثناء بعض أخبار المعجزات، معقول جدًّا، لا يدحض صحّته التاريخيّة إلّا مُكابر. ورَوْح القدّيس هذا تعيّد له الكنائس الشرقيّة في أواخر شهر كانون الأوّل (يوم ٢٥ في سنكسار ريّان صليبا السريانيّ، ويوم ٢٩ عند الروم الملكيّين).

قلنا إنّ هذا الكتيّب جليل الفائدة، وإنّه بالحقيقة يندرج في إطار ما سبق أن بيّنه عمالقةٌ أمثال الأب لويس شيخو وحبيب الزيّات من حضور المسيحيّين في المجتمع الإسلاميّ. وما دمنا في ذكر العلّامة حبيب الزيّات، نشير إلى غلط مطبعيّ ورد في الكتاب الذي ذكر مرجع بقلمه. فقد جاء في حاشية الصفحة ٨ من الكرّاس: «راجع حبيب زيّات، الديانات النصرانيّة في الإسلام»، وقد يلتبس هذا العنوان على غير المطّلعين، إذ الصحيح هو «الليارات» لا «الديانات». وهذا الكتاب صدر مؤخّرًا في طبعته الثالثة عن دار المشرق (بيروت، ١٩٩٩).

أ. ك. حشيمه

وجه من وجوه كنيسة سورية المارونيّة
سيادة المطران أنطون طربيه راعي أبرشيّة اللاذقيّة المارونيّة
تأليف الأب الياس يعقوب
المركز الفنّيّ للطباعة والإعلان، طرابلس (لبنان)، ٢٠٠٠، ١٤٦ صفحة

هذا الكتاب هو الثاني الذي نقرأه للخوري الياس يعقوب – وقد يكون له سواه –. فإنّنا طالعنا منذ سنتين مؤلّفًا عَنْوَنَه الرسولان الأمينان الخوري بطرس الباني والشمّاس الياس داغر، وهذا يعني أنّ حضرته بات متمرّسًا في كتابة السِيَر، وبالحقيقة فإنّ مصنّفه الأخير في سيرة المطران أنطون طربيه نجح في ما رمى إليه مضمونًا وأسلوبًا. ذلك بأنّه لم يكن من السهل أن يكتب كاهن سيرة مطرانه، أي رئيسه المباشر، وهو لا يزال في منصبه. إلّا أنّ الأب يعقوب استطاع أن يتحاشى خطر التملّق ومحاباة الوجه، علمًا أنّه بادر إلى التأليف لمناسبة احتفال مطرانه بذكرى رسامته الكهنوتيّة الخمسين. وانطلاقًا من هذا البرّر الموضوعيّ، جاءت كتابته موضوعيّةً أيضًا، مبتعدة عن الإطراء، تاركةً للأحداث أن تحكي، فاستشهد المصنّف بذكرياته وببعض ما أسرّه صاحب السيرة في مناسبات عابرة، كما وببعض ما رواه له سواه. وزاد في رونق الكتاب أنّ المؤلّف أجاد في مزج الرواية بالتعليقات والتحليل حينًا بعد آخر، بخفر ولباقة لإبراز ما ينبغي إبرازه دونما إطالة. أضف إلى ذلك الأسلوب السهل الرشيق الذي يتناسب مع «قدسيّة» الموضوع.

وما دمنا في شأن الموضوع نفسه، لا يسعنا إلّا أن نثني على بادرة الخوري الياس يعقوب لأنّها رسمت لنا صورة حيّةً لشخصيّة حيّة لا بل مملوءة حيويّة حقّقت الكثير في أبرشيّتها على الصعد كافّة، الدينيّة منها بالطبع، والتربويّة، والعمرانيّة والاجتماعيّة.

إنّ هذا الكتاب مساهمة جادّة ناجحة في كتابة تاريخ الكنائس المشرقيّة.

أ. ك. حشيمه

الرهبان الأنطونيّون. ثلاثمائة سنة في خدمة الله والإنسان

١٧٠٠-٢٠٠٠

تأليف الأب شربل يوسف البلعة الأنطونيّ

منشورات الرهبانيّة الأنطونيّة المارونيّة، الدكوانه، ١٩٩٩، ٨٨٠ صفحة

يقول الأباتي حنّا سليم، الرئيس العامّ الأسبق للرهبانيّة الأنطونيّة المارونيّة: «إنّ كتاب «الرهبان الأنطونيّون» هو هديّة الرهبنة في يوبيلها». إنّه يأتي في إطار اليوبيل الثلاثمائة سنة على تأسيس الرهبانيّة الأنطونيّة، إذ تجشّم الأب شربل يوسف البلعة كلّ الصعاب وتجاوزها لإنجاز الموسوعة التاريخيّة الدينيّة هذه التي تعرّف القارئ على فضائل الآباء والإخوة الأنطونيّين، وعلى نسكهم وجهادهم، وعلى أصحاب الفكر والرأي والمعرفة والقلم بينهم، وعلى مختلف أعمالهم الراعويّة والاجتماعيّة والإنسانيّة والاقتصاديّة، وجلّها حدث في الأصقاع اللبنانيّة، وبعضها في المهاجر حيث توطّن اللبنانيّون والموارنة منهم بوجه أخصّ.

يتضمّن الكتاب الموسوعة، وهو يذكّرنا بالكتاب الذي ألّفه الأب هنري جلابير «يسوعيّون في الشرق الأدنى» (صدر بالفرنسيّة عن «دار المشرق»)، جردةً وافية لـ ١٠٢٣ اسمًا من الرهبان كوّنوا تاريخ الرهبانيّة الأنطونيّة منذ ٣٠٠ سنة، وقد خصّص الأب البلعة نبذة عن حياة كلّ واحد منهم، تشكّل ترجمة مختصرة تدلّ على سنة لبس الإسكيم والوفاة، ثمّ تتحدّث عن الدور الذي قام به الراهب في الرهبانيّة، والمهمّات التي أوكلت إليه، والأعمال التي قام بها. وتجدر الإشارة إلى أنّ التراجم تتوقّف أحيانًا على بعض المزايا التي تحلّى بها الرهبان الأنطونيّون.

أمّا المنهجيّة التي اعتمدها المؤلّف، فإنّها أعادت الحياة والاعتبار إلى الكثير من دفاتر السجلّات والمخطوطات التي تحتوي معلومات عن الرهبان وذلك منذ نشأة الرهبانيّة، وبالتالي فإنّ عمل الأب البلعة جاء مستندًا إلى وثائق تاريخيّة. وقد عمد إلى المحافظة على مصداقيّتها وماديّتها من دون التدخّل في تحرير النصّ إلّا عندما استطاع أن يأتي بمعلومات أخرى تسدّ النواقص. والواقع أنّ العمل جاء مسحًا شاملًا للأموات والأحياء حتّى نهاية القرن العشرين، مع إضافة عدّة فهارس أتمّمت هذا المسح، وهي تسهّل على القارئ والباحث على السواء مهمّة التعرّف على واقع الرهبانيّة الأنطونيّة، وما قدّمه أبناؤها من جليل الأعمال في خدمة الكنيسة والمجتمع. كتاب الأب البلعة الموسوعيّ هو حجر ذهبيّ يضاف إلى مدماك تاريخ الكنيسة في الشرق.

الأب سليم دكّاش اليسوعيّ

الإسكندر الكبير
فتوحاته وريادة الفكر اليونانيّ في الشرق
تأليف الأب متوديوس زهيراتي
دار طلاس، دمشق، ١٩٩٩، ٢٥٦ صفحة

من مميّزات منطقة الشرق الأدنى أنّها كانت وما زالت أرض تلاقٍ بين شعوب مختلفة وحضارات متنوّعة، وقد ساهمْ في ذلك عمليّات المدّ والجزر التي قامت مع عبور جحافل الوافدين والقافلين من بابليّين وأشوريّين ومصريّين وفرس ورومانيّين ويونانيّين وسواهم من الشعوب. إلّا أنّ تاريخ التفاعل بين هؤلاء الفاتحين أو الغزاة وأهل البلاد الأصليّين لم يُكتَب بعد على نحوٍ مُرْضٍ، وهذا ما يؤسف عليه. والحقبة اليونانيّة بخاصّة والهلّينيّة التي رافقتها، لم تنالا ما تستحقّانه من الدراسة رغمّ ما كان لهما من أثر بليغ في حضارتنا قلّ نظيره.

وقد انبرى والحمدلله لهذه المهمّة الأب متوديوس زهيراتي، الراهب الباسيليّ الحلبيّ، فكان الرجل المناسب في المكان المناسب. ذلك بأنّه متمرّس في كتابة التاريخ، له فيه مؤلّفات ومقالات ظهر معظمها في مجلّة المسرّة، وهو متضلّع من اليونانيّة وغيرها من اللغات الشرقيّة والغربيّة قديمها وحديثها، متبحّر في فلسفة الإغريق وقد علّمها سنواتٍ طويلة، واسع الاطّلاع على تاريخهم. وكتابه الإسكندر الكبير، فتوحاته وريادة الفكر اليونانيّ في الشرق يسدّ فراغًا كبيرًا. وما يلفت النظر فيه أنّه لم يكتفِ باستعراض تاريخ ذي القرنين العسكريّ، وهو شرك من السهل الوقوع فيه، بل انطلق منه ليؤسّس لدراسته المستفيضة في الحضارة اليونانيّة وانتشارها في العالم، لا سيّما في منطقتنا، وأهمّ معالمها ومقوّماتها. وأجاد المؤلّف في قِسم كتابه الثالث حين أظهر التمازج بين الشرق والغرب بفضل الهلّينيّة، غير غافل عن أنّ العرب استفادوا كثيرًا من فلاسفة اليونان وأطبّائهم ورياضيّيهم واستطاعوا بذلك أن يحملوا إلى العالم تراث هؤلاء بعد أن استوعبوه وتفاعلوا معه وأضافوا إليه طابعهم الخاصّ.

ومن حسنات كتاب الأب زهيراتي، أنّه لجأ إلى الكثير من المراجع العالميّة المعروفة مستندًا بذلك نظريّاته إلى مصادر موثوق بها رصينة. وفي رأينا أنّ هذا المصنّف الجزيل النفع كان اكتمل وازدهى لو شفعه مؤلّفه العلّامة بفهرس للأعلام، ولعلّه فاعل في طبعة جديدة.

أ. كميل حشيمه

سوق الغرب في ذاكرتي
تأليف الدكتور سمير الصليبيّ
دار المراد، بيروت، ٢٠٠٠، ١١٢ صفحة

ينضمُّ كتاب الدكتور سمير الصليبيّ عن بلدته «سوق الغرب» إلى عدد من أمثاله في القرى

اللبنانيّة باتَ يزداد عامًا بعد عام، ممّا يوفّر بخصوصيّاته مادّة ثمينة لكتابة تاريخ البلاد عامّةً على نحو متكامل موثوق به لارتباطه بالمصادر الأساسيّة. ففي الستين الأخيرتين عرّفت المشرق كتابين ثمين خُصّ أحدهما ببلدة «بكاسين» الجنوبيّة، ومؤلّفه الأستاذ فريد حنينه (المشرق ٧٤: ٥٢٢)، والآخر عالج تاريخ بلدة «عاريّا»، وهو بقلم الخوري جان الرامي (المشرق ٧٥: ٢٥٦). ولئن جاء كتاب الدكتور الصليبيّ أصغر حجمًا من المرجعين السابقين، لاختزاله كثيرًا تاريخ البلدة قديمًا، إلّا أنّه يبرّر ذلك بأنّ هدفه هو إبراز أثر سوق الغرب في ذاكرته أكثر منه الفوص على ذاكرة الوثائق التاريخيّة. ومن هذا المنطلق يكتسب مؤلّفه بعدًا طريفًا غير مألوف في هذا النوع من الأبحاث، هو المُعطى العاطفيّ الوجدانيّ، وهو ناحية إيجابيّة لها مدلولات غنيّة. ويلفت النظر في هذا الباب خاتمة الكتاب إذ عَنْونها المؤلّف كالآتي: سوق الغرب «عاصمة الدني». إنّها صرخة من الأعماق يتردّد صداها في طيّات الكتاب، وشعاع من النور يلوّن بيوت الحجر ووجوه البشر بألوان بهيجة تبعث على الأمل رغم كلّ ما حلّ بالبلدة من محن، بدءًا من الهجرة سابقًا حتّى التهجير وآثار دمار الحرب لاحقًا. وتذكّرنا عبارة «عاصمة الدني» بما كان يردّده والدي، رحمه الله، على مسامعنا عندما كان يشدّه الحنين في المهجر إلى بلدته بكفيّا فيقول: «بكفيّا عاصمة الدني»، ولكنّه كان يزيد دومًا: «... وعمود السما»! فالبلدة والقرية ومسقط الرأس هي في نظر الإنسان أجمل ما يعرفه من أماكن الكون، وهذا ما نجح الدكتور سمير الصليبيّ في تبيانه. والأماكن، أماكنه، التي ذكرها، والوجوه التي رسمها، والذكريات التي استعادها، تحيا معه أمامنا وتجد لها في الذهن مرتعًا وفي المهجة مقامًا.

ولنا في الختام ملاحظة من جهة تصميم الكتاب، ذلك بأنّنا وجدنا في ترتيب الفصول ومضامينها بعض الاضطراب. من هذا أنّ الفصل الثاني، وعنوانه «سوق الغرب (مؤسّساتها)» (ص ٢٣-٣١)، لا يذكر في معظمه إلّا مدرسة البلدة الكبيرة وينتهي بكلام جدّ وجيز عن المصطافين والنجمة. فأين «المؤسّسات»؟ - ثمّ إنّ الفصل الرابع معنون «سوق الغرب» (فنادقها، قصورها، كنائسها، وجوهها، مصطافوها). فما بال المؤلّف عاد إلى ذكر الوجوه بعد أن خصّ بهم الفصل الثالث بأكمله؟ وقد حصل من جرّاء ذلك أن تكرّرت مادّة الفصل الثالث في طيّات الفصل الرابع، فرحنا ننتقل من كنيسة إلى معلّم، فإلى فندق، فإلى مصطاف مرموق، فإلى أدراج الضيعة، فإلى طيب تطاسيّ، فإلى ملعب كرة المضرب، فإلى بطريرك... وقد يكون لهذا الاضطراب في الأسلوب رونقه، إذ إنّ في التنوّع جمالًا! لكأنّ المؤلّف استحال نحلةً تنتقل من زهرة إلى زهرة لتنويع الجنى والتنزّه في صميم العمل، والترفيه بالرغم من الاجتهاد! ومجمل القول إنّ جنى الدكتور الصليبيّ كان بالحقيقة شهدًا طيّب المذاق، ما أطيبه عسلًا.

أ. ك. حشيمه

العمارة البيزنطيّة

تأليف سيريل مانجو

ترجمة رندة فؤاد قاقيش

دار مشرق - مغرب، دمشق، ١٩٩٩، ٢٣٢ صفحة

إمتدّ تاريخ الإمبراطوريّة البيزنطيّة، بحسب العُرف السائد، من يوم تأسيس القسطنطينيّة في العام ٣٢٤م حتّى سقوطها في أيدي الأتراك العامّ ١٤٥٣م. وهذه هي المدّة الزمنيّة التي ركّز عليها المؤلّف دراسته. ويعتبر كتاب سيريل مانجو (Mango) من الأعمال المتميّزة في حقله، مرجعًا لا غنى عنه للطالب والمتخصّص على حدّ سواء، لما تضمّنه من غزير مادّة يبرزها عرض ميسّر واضح قريب المنال.

في البداية يبيّن مانجو المنهج الذي اتّبعه في بحثه ويبرّره، فهو اعتمد كلًّا من المنهج الوصفيّ التقنيّ، والتاريخيّ الاقتصاديّ الاجتماعيّ، والتحليليّ النقديّ، ممّا يتيح له تناول الموضوع من جوانبه المتعدّدة فيكمّل بعضها بعضًا. ثمّ يدرس المؤلّف المواد والتقنيّات إلى جانب التوثّق عند المهندسين والبنّائين. ويتناول بعد ذلك مدن العصر البيزنطيّ المبكّر وعمارة كنائسها، فعصر الإمبراطور يوستينيانُس، فما سمّاه بالعصور المظلمة (أي بين العام ٥٨٠ ومنتصف القرن التاسع الميلاديّ)، فالعصور البيزنطيّة المتوسّطة، وبَعْدَها المتأخّرة، منتهيًا بدراسة انتشار العمارة البيزنطيّة في سائر بلدان أوروبّا الشرقيّة.

والكتاب، وإن خُصّ معظمه بالآثار الكنسيّة، إلّا أنّه يتعرض أيضًا بعض المباني الأخر كالقلاع والقصور، وهو يزخر بالرسوم الشمسيّة واليانيّة المعبّرة الجميلة. كما أنّه تجدر الملاحظة إلى أنّ الحواشي لم تنقل إلى العربيّة وتُركت بلغتها الأصليّة - الإنكليزيّة - لفائدة المختصّين.

إنّ الدكتورة رندة فؤاد قاقيش، المدرّسة في قسم الآثار بالجامعة الأردنيّة، لجديرة بالثناء والشكر لأنّها قدّمت إلى المثقّفين والباحثين في بلادنا، طبعة عربيّة لتحفة العلّامة سيريل مانجو. ونستميح حضرة المترجمة لنقترح عليها، إن هي أرادت إعادة طبع كتابها، أن تصحّح تعريب عدد لا بأس به من الأعلام الأجنبيّة. فلئن هي أحسنت في إيراد بعض الأسماء بصيغة عربيّة سليمة مألوفة (أنطرنيوس، مرقس، سمعان العموديّ، بطرس، يوحنّا المعمدان، إلخ)، إلّا أنّها نقلت أسماءً أخرى على نحو تغريبيّ غير علميّ، بدون مراعاة قاعدة واضحة، مستندةً إلى صيغها الإنكليزيّة لا الأصليّة اليونانيّة أو اللاتينيّة أو الفرنسيّة. من ذلك: «فوج» (ص ٧) والصحيح «فوجويه» Vogüé؛ و«ميللت» (ص ٧) والصحيح ميلّه؛ والقدّيس «جريجوري» (ص ١٦) والصحيح «جريجوريوس» أو غريغوريوس؛ والقدّيس «جورج» (ص ٢٣)، والصيغة العربيّة الصحيحة هي «جاورجيوس» أو جيورجيوس؛ و«جوستيان» (ص ٥٩)، والصحيح بحسب الأصل «يوستينيانُس»؛ و«كليمنت» (ص ١٠٢) والصحيح استنادًا إلى الأصل وإلى قواعد تعريب الأعلام: «أكليمنضُس»؛ و«بلاتون» (ص ١٠٥) والصحيح المعروف «أفلاطون»؛ و«بازيل» (ص ١٨٩)، والصحيح «باسيليوس»، إلخ...

ومهما يكن من أمر هذه الهفوات الشكليّة، فكتاب مانجو وقاقيش مرجع مفيد نأمل أن تكثر أمثاله بالعربيّة.

أ. كميل حشيمه

العربيّة الفصحى شعلة لا تنطفئ

تأليف جبران مسعود

منشورات بيت الحكمة، بيروت، ٢٠٠١، ١٢٨ صفحة

قديمًا قيل: «خير الكلام ما قلّ ودلّ»، وما أصدق هذا القول نُضيف به كتاب الأستاذ جبران مسعود. تراه مصنّفًا صغيرًا بحجمه، إلّا أنّه كبير بمخزونه ومدلوله، يعالج بدون إفراط مملّ، أو تقصير مقلّ، مسألةً هي في غاية الخطورة، مسألة الفصحى وما تواجهه اليوم من تيّارات تُعاكِس أو إهمال متكاسل، وفي صفحات وُزنت كلماتها ومُحّصت فِكَرُها تمحيصًا، تناولَ فيها المؤلّف موضوعه شاملًا، فجاء شافيًا كافيًا، وزاد في ألقه أسلوب منطقيّ صارم الحجّة ولغة أدبيّة رفيعة حبّذا لو يقتدي بهما الكثيرون ممّن يمتهنون الأدب في أيّامنا وقلّما يُفلحون.

والأستاذ جبران، إذا ما أورد فكرةً في موضوع اللغة أو تبنّى موقفًا، فإنّما يفعل ذلك عن علم وخبرة، فهو مربٍّ مخضرم وباحث رسخت قدمه في شؤون اللغة والآداب، ألّف في المدرسيّات والقصّة وتاريخ الأدب، وصنّف معجمًا أسماه الرائد كان له فضل الريادة حقًّا في تبنّي الترتيب الأبجديّ الكامل لا الترتيب بحسب الجذور. قسم كتابه الذي نحن نقدّمه الآن إلى قسمين:

القسم الأوّل يدرس كيف سلكت اللغة العربيّة في تفاعلها الحضاريّ بين العرب والأعاجم، وكيف أرسى هذا التفاعل استجابةً للتحدّي وإثراءً متبادلًا على مدى العصور، من «الجاهليّة» - أو بالأحرى عصر ما قبل الإسلام - حتّى النهضة المعاصرة، مرورًا بعصرَي الأمويّين والعبّاسيّين وما سمّي بزمن الانحطاط.

وفي القسم الثاني يدافع الأستاذ مسعود عن الفصحى وحرفها وقواعدها، مفنّدًا بحجج بليغة المتخاذلين المشكّكين بسهولتها وقدرتها على التكيّف، مبيّنًا بالمقارنات والشواهد أنّ العربيّة ليست أصعب من اللغات الأجنبيّة التي يمتدحها هؤلاء المشكّكون. وممّا يقترحه لإعلاء شأن لغة الضاد، إنشاء مجمع لغويّ موحّد يكون بمنأى عن التأثيرات السياسيّة، كما إنّه يدعو إلى إذكاء الروح الوطنيّة والتحسّس بالواجب تجاه اللغة الأمّ.

ويختم المؤلّف كتابه من حيث بدأه فيعلن صادقًا: «ربَّ قارئ يقول إنّني في كتابي هذا كالصارخ في واد. وما ضرّني؟ أن أكون صارخًا في وادٍ أفضل وأجدى من أن لا أصرخ. ثمّ، لعلّ صرختي في وادٍ تتكسّر أصداؤها صدًى في إثر صدًى، وليس بعيدًا أو غريبًا أن تتلقّف الصدى أذن مرهفة تحمله إلى القلب والعقل» (ص ١٢٣). أترال الأستاذ مسعود هذه تلقى في أذننا صدى محبّبًا، ونحن نردّده، وأملنا أن يقع موقعَ القلب والعقل معًا لدى

التلامذة ومربّيهم، ولدى المتأدّبين لينهجوا الأسلوب السليم فينجحوا نجاحًا غير مشوب، ولدى الأدباء الأصليّين ليثبتوا على أصالتهم، فترفل العربيّة إذ ذاك بأجمل ثوب وتتألّق بأبهى مظهر وجوهر.

أ. كميل حشيمه

الدامور الشاعرة

تأليف جورج غريّب

دار الثقافة، بيروت، ٢٠٠٠، ٣٠٤ صفحات

كثيرة هي البلدات اللبنانيّة، حتّى الصغيرة منها، التي أنجبت شخصيّات تميّزت بالنبوغ على جميع الأصعدة، الفكريّة منها والأدبيّة والفنّيّة والعلميّة والسياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة. وبلدة الدامور لم تشذّ عن القاعدة، لا بل تألّق عظماؤها على نحوٍ قلّ نظيره، لا سيّما في الصحافة والسياسة والطبّ والشعر. ومن كبار شعرائها الذين ما زالوا يحتلّون الساح، الأديب جورج غريّب، الذي هو بالحقيقة نسيج وحده. فهو معروف في الأوساط الأدبيّة بـ «صاحب المائة كتاب»، وهذا الرقم أصبح اليوم مختلفًا عن الواقع، إذ قفز إلى ١٠٥ مصنّفات توزّعت بين الدراسات الأدبيّة، ومعظمها كُتب لفائدة الطلّاب لأنّ الغريّب مربٍّ عريق، والمجموعات الشعريّة الرفيعة المستوى.

وديوان الدامور الشاعرة لا يختلف عمّا سبقه جودةً وسموًّا. وقد جمع فيه صاحبه ما أنشده في بلدته التي استُشهدت مطلع الحرب اللبنانيّة ودمّرت على يد الغزاة وهُجّر أبناؤها البررة، وما زالت حتّى اليوم تضمّد جروحاتها على أمل القيامة التامّة. وقصائده آيات بيّنات، تروي كلّ واحدة قصّة، وتصرخ صرخة، تصف للعين، وتخاطب المُهَج، وتستحثّ الهمم وتذكي الإيمان والرجاء، وتفوح منها، على الرغم من الألم القارص، عواطف المسالمة والانفتاح والمحبّة. تقرأ ديوان الغريّب هذا فتطرب وتتأثّر وتعجب، تتأرجح بين نغمات الأوزان المرهَفَة وشطحات الخيال المترقّب، وتقول: «هنيئًا لبلد ما زالت فيه للشعر الأصيل مكانة». ولا بدّ لنا أن نستشهد ختامًا ببعض ما جاد به قلمه، لا نَقْضب حبره. قال في قصيدة «الصلاة الخالدة» - ص ٩٣-٩٥ - (وهي مثال على سموّ شمائله):

مسكينةٌ تربتي الخضراء، قد يبست...
أهكذا، في الثّرى المأساةُ تُختَتَمُ...!؟
ضَممتُها شهقَتْ، قبّلتُها فبكتْ
لملَمْتُ أدمُعَها بالثّغر يَلْتَهِمُ...!
ماذا يريد العِدى من موطنٍ، شَمَخَتْ
فيه المساجدُ، والصُّلبانُ، والحُرَمُ!؟
(...) يا ما غَزَلنا لهم أرواحَنا ذممًا....
فدنَّسوها، وشُلّت في الحِمى ذِمَمُ...!

نسدي العوالمَ حبًّا يهتدون به...
فتستجيبُ لنا البغضاءُ والظُّلَمُ...!
(...) لكنّنا في النّوى، مهما يطُلْ زمنٌ
لسوف يُبقى لنا في الكونِ معتَرَمُ...!
أهلي! بُقوا اليومَ... فالدّامورُ عائدةٌ
تلك السّماءُ لكمْ... والأرضُ أرضُكُمُ!

أ. ك. حشيمه

بُورِكْتَ يا حَجَر

تأليف الدكتور الياس هداية

نشرته مطرانيّة الأرمن الكاثوليك، حلب، ٢٠٠٠، ٧٤ صفحة

طالعنا للشاعر الدكتور الياس هداية شعرًا كثيرًا جيّدًا نشره في المجلّات السوريّة لا سيّما في حلب وحمص ودمشق، كما طالعنا له ديوانًا سبق أن أصدره العامَ ١٩٩٨ بعنوان قطارات الرحيل. وبمجموعته الجديدة هذه يتابع الدكتور هداية إنتاجه المميَّز، خاصًّا به، في هذه المرّة، الشأن الوطنيّ. فهو، بقصائده الأخيرة هذه يشيد بانتفاضة الحجارة التي ثارت من خلالها الجماهير الفلسطينيّة المتمرّدة على الجور الصهيونيّ.

جميل شعر الياس هداية أنّه، قبل كلّ شيء، عفويّ صادق يتفجّر، لا تفجّرًا غاشمًا، بل واعيًا يسبغ عليه الحزن والألم مسحة إنسانيّة صافية، ويتمازج فيه صفاء الفكر وتوثّب الخيال في توازن يرصّعه بيان ناصع شفّاف. وقد رعت ناشرة الديوان، مطرانيّة الأرمن الكاثوليك في حلب بهمّة الأستاذ الأديب جورج مراياتي، ما في قصائد هداية من سموّ في الموضوع وتحليق في الأداء، فرصّع سيادة راعي الأبرشيّة المطران بطرس مراياتي جبين الديوان بمقدّمة جاءت هي أيضًا قطعة من الأدب الرفيع الملتزم، دافع فيها عن النضال من أجل أن تبقى القدس مدينة السلام والتلاقي والمحبّة بين جميع الشعوب والأديان.

أ. كميل حشيمه

Mal d'amour et joie de la poésie
chez Majnoun Layla et Jacques Jasmin
par Jad Hatem
Librairie Quesseveur, Agen, 2000, 112 pages

ألم الحبّ وفرح الشعر
عند مجنون ليلى وجاك جَسمان
تأليف جاد حاتم

إهتمامات صاحب هذا الكتاب، الدكتور الأستاذ جاد حاتم، كثيرة متشعّبة متقلة بشار

العطاء. فالمؤلّف مفكّر يدرّس في جامعة القدّيس يوسف اليسوعيّة ببيروت، وقد سبق أن رأس قسم الفلسفة فيها، وهو أديب وناقد وشاعر وصاحب أبحاث كثيرة، منها نحو ٣٠ كتابًا، في تلك الميادين وغيرها كعلم اللاهوت والتصوّف الإسلاميّ والمسيحيّ. وكتابه الأخير الذي نحن بصدده الآن هو خير أنموذج عن نتاجه الثرّ، يجمع في حجمه اللطيف مخزونًا من الفكر الثاقب والثقافة الشاملة والحسّ المرهف وورنق البيان، ما يجعله درّة من درر الأدب ومفخرة لصاحبه وللأدب اللبنانيّ المقارن. ولا غرو أن يكون الكتاب قد نال جائزة الفرنكوفونيّة المعروفة بـ «الياسمين الفضّيّ» التي تمنحها أكاديميّة مدينة أجان Agen الفرنسيّة.

موضوع الكتاب دراسة مقارنة بين الشاعر العربيّ القديم مجنون ليلى والشاعر الفرنسيّ جاك جَسمان الذي عاش بين العامَين ١٧٩٨ و١٨٦٤ وخلّف دواوين بلغته المحلّيّة الجميلة التي ما زالت سائدة في جنوب غرب فرنسا. وكلا الشاعرين، مجنون ليلى، أو قيس بن الملوّح، وجاك جسمان، اشتهر بقصائده الغزليّة إذ حلّق كلّ منهما في هذا الباب أيّما تحليق، خيالًا وصدقَ عاطفة وغوصًا على خفايا القلب، إضافةً إلى روعة الأسلوب. وقد أجاد الدكتور حاتم بدوره، فخصّ قسمًا أوّلًا من كتابه بدراسة تحليليّة نفسيّة وفلسفيّة ووجدانيّة لنظرة كلّ من الشاعرين إلى الحبّ وعلاقته بالمحبوبة. لا بل ولج الأستاذ حاتم باب التحليل اللغويّ، فتطرّق، على سبيل المثال، إلى علاقة جنون «المجنون» بالجنّ وعالم الغيب والانخطاف، وعلاقة القصيدة بالقصد، أي الهدف والأشواق، وعلاقة العقل المفكّر بعمليّة العقل أي الربط. ومن العقل انتقل إلى رصد انعدام العقل الذي يؤول إلى التفكّك، فإلى الحرّيّة التي لا يقيّدها شيء، فتضحي موتًا. ويرع حاتم بتحليل جدليّة الحبّ والموت هذه، إذ غالبًا ما يقود الأوّل إلى الثاني، كما يعود الأوّل إلى الحياة بعد مرور بالموت، لكأنّ العمليّة هي عمليّة فناء في حينٍ هي، في الوقت نفسه، انبعاث حياة مجدّدة.

وفي قسم ثانٍ من الكتاب (ص ٦٣-١٠٧) أورد المؤلّف نصوصًا من مجنون ليلى وجسمان، كلّ منها في لغته الأصليّة إلى جانب ترجمتها إلى الفرنسيّة، علمًا أنّ الدكتور حاتم نقل النصّ العربيّ إلى الفرنسيّة نقلًا جاء غاية في الإتقان والسلاسة والجمال.

ولئن كان لنا من أمنية في ختام هذا العرض، فهي أن يُوفّر لنا البروفسور حاتم بالعربيّة أيضًا أبحاثًا على شاكلة دراسته هذه القيّمة الفريدة.

أ. كميل حشيمه

Dans la demeure de l'Absent
par Sobhi Habchi
L'Harmattan, Paris, 2000, 124 pages

في منزل الغائب
تأليف صبحي حبشي (شعر)

يبدو أنّ الدكتور صبحي حبشي طلّق ربّة القصائد العربيّة ليلحق بضرّتها الفرنسيّة. فبعد

أن قرأنا له ديوانين بالعربيّة، هما عطش في بلاد الينابيع وأيّها الهارب من الجرح (اطلب المشرق ٧١-١٩٩٧-، ص ٢٤٥)، أصدر على التوالي في العامين ١٩٩٩ و٢٠٠٠ أربع مجموعات بالفرنسيّة عرّفناها في حينه (المشرق ٧٣-١٩٩٩-، ص ٢٨١؛ ٧٤-٢٠٠٠-، ص ٢٧٦). وها هو اليوم يتحفنا بديوان آخر أصدره في باريس حيث يعمل باحثًا ومدرّسًا في معاهدها العليا. ومجموعته الأخيرة هذه لاقت رواجًا واستحسانًا، ويلفت النظر أنّها صدرت مع مقدّمة ضافية وملحق موشّع كتبهما اثنان من الأساتذة الأدباء المعروفين هما Daniel-Henri Pageaux وFrancis Jacques، بيّنا ما تميّزت به محاولة حبشي الأخيرة، مثنيين على ملكته الشعريّة وعمق خبرته الوجدانيّة والإنسانيّة.

في ديوانه هذا يبدو لك الشاعر على ما عرفته سابقًا بتطلّعاته وتوثّباته، بثورته وصرخة ألمه، متأرجحًا بين الغضب والاستكانة، بين التطلّع إلى الأعالي والغوص على مكنونات أعماقه وسراديب الأوضاع ومتاهات المعاناة الرواهن. إلّا أنّه يظهر لك، إلى ذلك، في تجدّد مستمرّ، وتلوُّنٍ لا يستقرّ، بَريقُ صوره على تنوّع دائم، وصلصلة كلماته على هدير تختلف نبراته لتفاجئك بكلّ جديد وجميل.

ومن جميل الديوان هذا أنّه مسيرة في عدّة مراحل، يغلب على أُولاها مسحة الخوف والاضطراب، ثمّ تعقبها فترة السكنى غير المستقرّة في بلد مستباح، فمرحلة النزول بين ظهراني الغائب الأكبر – الله، فالانتقال إلى فجر اللقاء، وأخيرًا إلى الركون في الجرح الذي لا ينِي، رغم ذلك، يبثُّ عبيره والأمل.

فأنتَ ترى أنّ المسيرة في مجملها واضحة، إلّا أنّ معالمها تتشابك وتتصارع، ويتأرجح الشاعر بين اليأس تارةً والرجاء تارةً أُخرى، تتجاذبه جدليّة الصحراء والينبوع، أعاصير الأرتياس الخضمّ وهدوء الجداول، مغامرة الأرض الآسرة وآفاق السماء الواسعة المحرِّرة. وتبرز من خلال تلك التنازعات صورة النار الآكلة: وبريق قوس قزح المريح، وصمود الأرزة، ويطلّ بين الفينة والفينة وجه ذاك الغائب الأكبر، الذي يظلّ حاضرًا في غيابه، سرًّا، يذكي جذوة الرجاء.

قصائد صبحي حبشي تأسرك بجمالها النضر الوثّاب وبخاصّةٍ بصدقها، وينمّ ما قيل في شاعرنا لمّا وصفوه في مقدّمة ديوانه، بالشهيد، فكان بذلك شاهدًا.

أ. كميل حشيمه

D'autres images écrites

صُوَر أخرى مكتوبة

تأليف: ندى مغيزل – نصر

دار النهار للنشر، بيروت، ١٨٤ صفحة، ١٩٩٩

بعد «صُوَر مكتوبة» الصادرة بالفرنسيّة في السنة ١٩٩٦، تقدّم الدكتورة ندى مغيزل –

نصر مجموعة أخرى من ذكرياتها الماضية وملاحظاتها الحاضرة في هذا الكتاب الذي يشكّل نوعًا من السيرة الذاتيّة المتكاملة والصريحة في آنٍ معًا. إنّه استعادة لكثير من الأحداث التي جرت في أيّام الطفولة، في البيت أو في المدرسة، ضمن علاقات عائليّة متميّزة، عميقة بواقعها ومعانيها. إلّا أنّ كتابة المؤلّفة تتعدّى مجرّد سرد الأحداث والوقائع.

إنّها، في أسلوبها الوجدانيّ، شديدة الشعور والحساسيّة بالواقع التربويّ ونموّ الطفل والسعادة والحقّ والإيمان والألم والموت. وبما أنّ الدكتورة مغيزل - نصر هي متخصّصة بالعلوم التربويّة، فإنّها أفردت صفحات عديدة لبعض الوقائع التي جرت إمّا في المدرسة، وإمّا في المنزل، ولها بُعد تربويّ. تقول في درس العلوم (الصفحة ٤٧): «كان يعود من دروس العلوم، وفي ذهنه الكثير من الأسئلة، وله طريقته في الحديث عنها، وفي أنّه يتعلّم وأنّ له أسلوبه في التعلُّم. كان يعود تملأه الرغبات والشهيّة. ويطول الدرس في أثناء الغداء أو في ساعة متأخّرة من الليل. تلك الدروس أذكت في نفسه الرغبة في البحث والتساؤل والحشريّة والاختبار. إنّها أذكت فيه أن يكون خلّاقًا، فلا يجمّع المعلومات في أثناء درس العلوم، بل إنّه كان يطوّر قدرته على الفهم والملاحظة والتساؤل والتنظيم والمشاركة فيه. في أثناء ذلك الدرس كان يكبر وينمو في الجمال».

إنّها صُوَر مكتوبة، إذ هي محفورة في الذكرة وباقية في الحاضر.

الأب سليم دكّاش اليسوعيّ

رَنّمي لي

تأليف المطران قارطان أشكاريان

نقله إلى العربيّة جُولي مراد

دار المراد، بيروت، ٢٠٠١، ١٣٦ صفحة

حَمَل الكتابُ قصائدَ أربعَ عشرة، وضعها المؤلّف أساسًا باللغة الفرنسيّة. ولا أجزُم إنْ كان المطران قارطان أرادها أربعَ عشرة على غرار مراحل درب صليب الآلام وصولًا إلى الجلجلة فالقيامة.

قصائدُ وجدانيّةٌ معبّرة، تأخذك إلى عالم من المشاعر والأحاسيس مرهفٍ، يترك فيه المؤلّفُ، رجلُ الدين، بصماتٍ جليّةً واضحة. (فأنتَ لستَ عظيمًا/ مهما كنتَ عظيمًا/ إن ابتعدتْ خطواتُك/ عن ملاقاةِ فقير/ إن هي لم تكترثْ/ لبكاء طفلٍ/ لاستغاثةِ ضرير/- الديوان ص ٩٦).

قصائدُ شعرٍ حرّ، قصيرةٌ رشيقةٌ، ترسمُ الصورَ ألوانًا زاهيةً وأشكالًا مرنيّةً، واضحةً مؤثّرة. تسمعها ملقاة تَتَشنَّف لك الآذان لما فيها من موسيقى داخليّة، على بعضٍ من وزنٍ، وكثيرٍ من إيقاعٍ وقافية. تجربةٌ ناجحةٌ يسيغُ القارئُ شكلَها والمضمون. أمّا الموضوعات فهي من عالمِ الجمال والموسيقى، والمعاناة والمكابدة، والحِلْم والعاطفة والإنسانيّة

والوطنيّة... وهي عوالمُ ليست بنائيّ أبدًا عمَّن نذر نفسه خدمةً للإنسان وقيمه.

ويزيدُ في الديوان روعةً وتألّقًا لمسةٌ ومؤازرة. أمّا اللمسةُ فهي لصاحب رِندلي، سعيد عقل، الذي قرأ، فوضع المقدّمة (ص ٩-١١)، «ومَنْ أدرى من الصاغةِ بالذهب».

وأمّا المؤازرة فجاءت من جرلي مراد التي ترجمت القصائد أيّما ترجمة. نقلت الشعرَ بالشعر، فجاءت ترجمتُها خلقًا وإبداعًا أكثر منها نقلًا أو تقيُّدًا بنصّ. فإلى جانب عبارتها العربيّة المعبّرة ببراعة عن جمال الصورة الشعريّة، لم تتوانَ الناقلة عن ترصيع جملها بألفاظٍ دالَّةٍ خيرَ دلالة، منتقاةٍ انتقاءً، بعيدةٍ عن متناول العامّة، قريبةٍ من قرائح الخاصّة والشعراء؛ على سبيل المثال (نَخاريب عمري [ص ٢١]، أساوِرُها [ص ٢٥]، الشَّرودة [ص ٧٢]، واهفٍ [ص ٧٧]، أَنَادِر [ص ٧٧]، نَزْغٌ [ص ٨٣]، أَيْكَكَ [ص ٩١]، ...).

تلفت الانتباه إلى أنّ كلمة «مَزَنٍ» في جملة «التي تُروى من مَزَنِ السماء» (ص ٤٥)، هي خاطئة، والصواب هو «مُزْنٍ»؛ إذ إنّ «المَزَنَ» هو العادة أو الحال، في حين أنَّ «المُزْنَ» هو السحاب أو ما يحمل الماء منه، وهو المقصود في القصيدة لا غيره.

لقد وضعت «دار المراد»، على جري عادتها، الشعر في قالبه المفضَّل، فجاء الكتابُ تحفةً في الصناعة يزيّنه غلافٌ مقوّى لفَّه القماشُ المخمليّ ورصّعه الذهب، ويزيدُ من جودته ورقٌ فاخرٌ مصقول، تزخرفُ هوامشَه تصاويرُ فنّيّة، جُعلت بلون الذهبِ أو قُلْ بلون نورِ الشمس.

تجربةٌ شعريّةٌ بالفرنسيّة جديرةٌ بكلّ اهتمام، نُقِلت إلى لغة الضاد بأفضل ما يكون النقل، أمانةً وصياغةً فمضمونًا، وقدّمت إلى القارئ العربيّ تحفةً فنّيّةً يفخرُ بها، لا كتابًا يقرأه فيضعه جانبًا.

ريمون حرفوش

عهد الله مع قلوب متجلّدة ...

إرميا النبيّ

سلسلة «المجموعة الكتابيّة»، رقم ٩، منشورات «المكتبة البولسيّة»، بيروت، ٢٠٠٠، ٤٦٧ صفحة

يبيِّن لنا الكاتب أنّ ما يلفت نظرنا عند إرميا هو إحساسه المرهف، لأنّ هذا النبيّ هو نبيّ الحوار مع الله، كما أنّه الشاهد لديانة شخصيّة لا تتوقّف عند الطقوس الخارجيّة. ذلك بأنّ القلب، الذي هو مركز العاطفة والفكر والوعي، يحتلّ عنده مكانة مميَّزة.

عاش إرميا مأساة أورشليم، وقد اضطرّ إلى الحديث عن دمارها. فبدا رجل الآلام الذي انطبعت حياته بالإخفاق. ومع كلّ ذلك، فإنّ حضوره وكلامه قد شجّعا الشعب على أن لا يموت بعد كارثة ٥٨٧ قبل المسيح.

إنّ قراءة سفر إرميا، الذي يمتدّ على واحد وخمسين فصلًا، تتطلّب كثيرًا من الثبات، لأنّنا نكتشف فيه قلب إرميا وشعبًا عاش أقسى محنة عرفها في تاريخه، لكنّ كلام النبيّ كان

نورًا ساعد الشعب على الانطلاق.

تُقسّم فصول كتاب الأب الفغالي إلى ثلاثة: أقوال على يهوذا وأورشليم، وأقوال خلاص لإسرائيل ويهوذا، وأقوال على الأمم.

إنّ سفر إرميا هو سفر النبيّ: رفع الصوت عاليًا فتكلّم باسم الله ولم يتراجع. سمعه معاصروه ولكنّهم لم يفهموا كلّ شيء. إلّا أنّ هذا الكلام قرأه الذين جاءوا بعده وفهموه ورجعوا إلى ربّهم.

أ. ص. حموي

الرسالة إلى العبرانيّين

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «دراسات بيبليّة»، ٢٢، منشورات «الرابطة الكتابيّة»، بيروت، ٢٠٠١، ٦٣٩ صفحة

يتابع المؤلّف شروحه لأسفار الكتاب المقدّس، في إطار «سلسلة دراسات بيبليّة»، علمًا بأنّ الرسالة إلى العبرانيّين، التي تختلف عن الرسائل الثلاث عشرة المنسوبة إلى القدّيس بولس، لا تُعدّ في أيّامنا بقلمه ولا بقلم أحد تلاميذه، بل كُتبت، ولا شكّ، في المدرسة البولسيّة.

أمّا الهدف منها فهو تشجيع المؤمنين الذين من أصل يهوديّ. فقد تأسّفوا على ترك العهد القديم وما فيه من كهنوت وهيكل وطقوس، فشدّد مؤلّفها على عظمة ابن الله وكهنوته وذبيحته الواحدة التي حلّت محلّ الذبائح المتعدّدة. فلا بدّ لأولئك المؤمنين إلّا أن يتمسّكوا بإيمانهم.

ويشير المؤلّف إلى أنّ الرسالة إلى العبرانيّين كان لها الدور الكبير في الكنائس الشرقيّة، ومن هنا واجب اهتمامنا بها، وإن لم يكن كاتبها القدّيس بولس.

نختم هذه المعلومات الوجيزة بتكرار شكرنا للأب بولس الفغالي الذي لا يزال يتحف مكتبتنا العربيّة بشروح تضع الأسفار المقدّسة في متناول المؤمنين الذين ليسوا من أهل الاختصاص.

أ. صبحي حموي

رسائل يوحنّا

ورسالة القدّيس بولس الأولى إلى تلميذه تيموتاوس

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «محطّات كتابيّة»، ٢٠ و٢١، منشورات «الرابطة الكتابيّة»، بيروت، ٢٠٠٠ و٢٠٠١، ٢٢٢ صفحة و٢٠٤ صفحات

المؤلّف الأوّل: إستنادًا إلى دراسات قديمة وحديثة يعوّل عليها، يؤكّد الكاتب أنّ

الرسائل الثلاث قد خرجت من يد واحدة، أي أنّها من قلم القدّيس يوحنّا الحبيب. وإذا كان يدعو إلى مطالعتها، فلأنّ مشاكلنا اليوم لا تختلف كثيرًا عن مشاكل الكنيسة في القرن المسيحيّ الأوّل. ذلك بأنّها تُعيدنا إلى إيماننا بالله الآب والله الابن، وإلى الربط بين محبّتنا لله ومحبّتنا للقريب، وتبيّن لنا أنّنا نستطيع أن نغلب العالم وما فيه من شرور، لأنّ الله الذي فينا هو أقوى من الشرّير الذي في العالم. وإذا هو غلب العالم، فنحن نستطيع أن نشاركه في هذا الانتصار.

المؤلّف الثاني: إنّ تيموتاوس هو التلميذ الذي رافق بولس في عمله الرسوليّ. وهذه الرسالة هي أولى الرسائل التي تسمّى الرعائيّة، أي التي وُجّهت إلى وعاة وتتحدّث عن تنظيم الرعاية في الكنيسة. فإنّها تعالج قضايا إعلان الإنجيل وتنظيم شعائر العبادة ومختلف الخدمات في الكنيسة، وتتكلّم على الشيوخ وعلى الأرامل. والقسم الأخير فيها يتحدّث عن هذا التلميذ وعن مهمّته الرعائيّة، فإنّه يقاوم تعاليمَ نسكيّة كاذبة ويبدو خادمًا واعيًا لواجبه.

هذه الرسالة قد يكون بولس هو الذي كتبها أو أحد تلاميذه. وربّما دُوّنت بعد موت الرسول ببضع سنوات.

أ. ص. حموي

الأدب الفلسفيّ والحكميّ

أحيقار، سفرا المكّابيّين الثالث والرابع،

فوكيليد - مِناندرو

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «على هامش الكتاب»، رقم ٧، منشورات الرابطة الكتابيّة، بيروت، ٢٠٠١، ٢٤٤ صفحة

يهدف المؤلّف، من خلال سلسلة «على هامش الكتاب»، أن يقدّم إلى القارئ العربيّ آثار التراث الشرقيّ القديم التي لها علاقة بأسفار الكتاب المقدّس، والتي تُعرَف بـ«الأبوكريفا» أو المنحولة، فهي تنسب إلى نفسها صفة الإلهام ولكنّ الكنيسة لم تعترف بذلك.

يتضمّن كتاب «أحيقار» خبر هذا الرجل الحكيم الذي خدم ملوك آشور ثمّ عُزل لاحقًا. ويلي الخبر نصّ أقواله وعددها مائة وأحد عشر قولًا، من مثل «لا تكُن حلوًا فتُبلَع، ولا مرًّا فتُبصق»، أو «لا تُرِ العربيّ البحر فلا يهتمّ له، ولا الصيدونيّ الصحراء لأنّه لا يأبه لها». وبعد نصّ الأقوال تلي دراسةٌ تركّز، في ما تركّز، على علاقة أحيقار بالأسفار القانونيّة وأهمّيّته الحضاريّة.

أمّا سفرا المكّابيّين، فيذكُر أوّلهما (أي الثالث) اضطهادًا هدّد اليهود في مصر أيّامَ بطليموس الرابع، ليبيّن أنّ الذين يحافظون على دين الآباء لا تنزعزع ثقتهم بالله، في حين

يدور موضوع السفر الثاني (أي الرابع) حول مقولة فلسفيّة من وحي الفلسفة الرواقيّة، وهي أنّ «العقل المشبع تقوىً يستطيع أن يسود الأهواء». وكلا السفرين مشفوع بدراسة وتحليل، كما أنّ أقوال فوكيليد وماندرو نُشرت مع دراسة نقديّة ولاهوتيّة مختصرة. أمّا نصّ فوكيليد فهو منحول، نُسب إلى الشاعر اليونانيّ هذا، الذي عاش في القرن السادس ق.م. في ميليتس (تركيا الحاليّة). وكتابه يقدّم تعاليم متنوّعة، على نحو ما يقدّم ماندرو تعاليم حكميّة.

نشير في الختام إلى خطإ - يبدو أنّه طباعيّ - ورد في صفحة المراجع (٢٣٩) حيث نُسب كتاب أساطير وحكايات شعبيّة في حكمة أحيقار إلى الأب يوسف حنّي، في حين أنّه من تأليف الأب يوسف حبّي (بالباء لا بالنون). وكان بالإمكان أن يُضاف إلى لائحة المراجع عنوان آخر هو حكمة أحيقار وأثره في الكتاب المقدّس، لمؤلّفه الأب سهيل قاشا (دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦).

أ. ك. حشيمه

ميلاد المسيح في يوبيل الألفين
مع مار أفرام السريانيّ والبابا يوحنّا بولس الثاني

تأليف الأب يوحنّا يشوع الخوري، م. ك.

منشورات الرسل، جونيه، ٢٠٠٠، ٣٤٢ صفحة

يوبيل الألفين، هذا الحدث الفريد، وجّه أنظار المسيحيّين وسواهم إلى ميلاد المسيح منذ عشرين قرنًا، وكانت في ذلك مناسبة للتأمّل في سرّ الفداء ووجه الفادي. وارتأى المؤلّف، وهو المختصّ بالسريانيّة وآدابها، والمتبحّر في كتابات القدّيس أفرام الرهاوي، أن يعرض على قرّائه ما قاله الملفان السريانيّ العظيم في المسيح بصفة كونه قِبلة القرون والأجيال، قبل مجيئه وفي أثنائه وبعده. وأبدع فوجد أوجهًا كثيرة للمقابلة بين ما ورد على لسان أفرام وما أعلنه البابا يوحنّا بولس الثاني في معرض كتاباته وعظاته لمناسبة اليوبيل.

يُشكر المؤلّف لأنّه فصّل بدقّة تعليم أفرام، مبيّنًا عمق فكره وغناه، مبرزًا نظرته الثاقبة إلى عمل المسيح المخلّص في تاريخ البشر، وأهمّيّة سرّ الكنيسة، ودور العذراء مريم في توجيه المؤمنين إلى شخص ابنها الفادي. كما أنّه يُشكر لأنّه استشفّ وأظهر ما يتجلّى في كتابات يوحنّا بولس الثاني وأقواله من استناد إلى فكر الآباء، وعلى وجه التخصيص هنا إلى مار أفرام، هذا القدّيس العلّامة الذي تجلّه جميع الكنائس. - وما دمنا نذكر الكنائس، نتساءل، هل تقبل جميعها ما ورد على لسان حضرة المؤلّف (ص ٥٦) من أنّ البابا هو «خليفة بطرس ونائب المسيح على الأرض»؟ أمّا نحن فنرى أنّه ينبغي الاكتفاء بالقسم الأوّل من الإعلان وترك القسم الثاني الذي دأب بعض اللاهوتيّين على استعماله وفيه من المبالغة ما لا يرضي الحقيقة ويزعج غير الكاثوليك.

أ. كميل حشيمه

البِدَع والروحانيّات الجديدة

الإيزوتيريك، التقمّص، شهود يهوه، الماسونيّة، النيو إيج، اليُوغا

بقلم الأخ روبير عيد اليسوعيّ

«موسوعة المعرفة المسيحيّة»، قضايا - ١٠، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠١، ٧٠ صفحة

إنّ الهدف من هذا الكتيّب هو إلقاء الضوء على بعض التيّارات الروحانيّة التي تنشأ في الغرب وتصل إلى مجتمعاتنا الشرقيّة، إمّا على نحو مباشر فتنتشر بِدَعًا، وإمّا على نحو غير مباشر عن طريق وسائل الإعلام والموسيقى. وفي كلتا الحالتين، تنعكس تلك التيّارات سلبًا على المجتمعات والقيَم والأخلاق والإيمان.

يتوقّف المؤلّف أوّلًا على أسباب انتشار البدع والروحانيّات الجديدة. ولعلّ أهمّها القلق على المستقبل، الذي يترافق وتطوّرات اقتصاديّة واجتماعيّة سريعة تتّصف بالاستهلاكيّة والعولمة، وضعف التربية المدنيّة والعائليّة والدينيّة، وما ينتج من كلّ ذلك من أزمات على المستوى الفرديّ والجماعيّ. ومن ثمّ يقدّم الكاتب عرضًا وجيزًا ووافيًا عن البدع والروحانيّات الواردة أسماؤها أعلاه، مبيّنًا الفرق بين تعاليم كلّ منها والتعاليم المسيحيّة.

يمتاز الكتيّب بأسلوبه السهل والواضح وعرضه الموضوعات عرضًا رصينًا، الأمر الذي يجعل منه وسيلة عمليّة تتيح للمعنيّين بالتعليم الدينيّ وتنشئة الشبيبة والوالدين أن يطّلعوا على تيّارات تهدّد الإيمان والأخلاق في منطقتنا.

أ. ص. أبو جوده

De l'allure de Dieu, quand Il vient

par Edouard Pousset

Collection «Théologie», n°119, Médiasèvres, Paris, 2001, 73 p.

على وقع خطى الله عندما يجيء

قراءات في أوغسطينس وديونيسيوس الأريوباجي

كان الأب إدوار بُوسّيه (١٩٢٦-١٩٩٩)، أحد المدرّسين في كلّيّة اللاهوت والفلسفة اليسوعيّة في باريس. عُرفت عنه غيرته الرعويّة الشديدة وبحثه الدؤوب عن ظروف تطوّر الإيمان المسيحيّ وأوضاعه الراهنة، ولا سيّما في إطار الكنيسة الأوروبّيّة. تميّز فكره بالتحليل الصارم الشديد الدقّة، وبالجرأة والجسارة، وهذا ما جعله يسعى بدون هوادة ليصل إلى صميم المسائل المطروحة.

إنطلاقًا من هذه الروح، يقدّم الأب بُوسّيه قراءة شخصيّة لنصوص كان لها أثرها المهمّ في الفكر الغربيّ، وهي: مقاطع من الكتب ٧ و٨ و٩ من اعترافات القدّيس أوغسطينس

(القرن ٥)، وفي التراثيّة السماويّة، بقلم ديونيسيوس الأريوپاجي المزعوم Pseudo-Denys L'Aréopagite، وهو، في الغالب، راهب سريانيّ عاش في مطلع القرن السادس. يُعالج الأب بُوسُّيه كلّ نصٍّ على حدة، ولكن على نحوٍ يخدم تكامل فكره. قبل أن يبدأ بالتعليق على مقاطع كتب الاعترافات، يضع شرطَين أساسيّين يسمحان للقارئ بأن يدرك مضمونها: أوّلًا، وجود الله في كلّ مكان (ص ٨)، وثانيًا، إنّ أيّ كتابة، ما دامت تنتمي إلى الثقافة المحلّيّة السائدة، تكتسب سلطة معيّنة، بمعنى أنّها تولّد عند القارئ موقفًا فكريًّا يجعله يتبنّى فكر الكاتب أو يشاركه في فكره بعض الشيء (ص ٩).

إنطلاقًا من هنا، يلاحظ الأب بُوسُّيه أنّ ثمّة وعيًا دينيًّا وفكريًّا اتّخذ شكلًا معيّنًا عند القدّيس أوغسطينُس، كان له الأثر الأكبر في شكل وعي الكنيسة Conscience de l'Eglise الذي ساد حتّى المجمع الڤاتيكانيّ الثاني (ص ١١). لقد كان الله في فكر القدّيس «الكمال الروحيّ، الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل، والروح الذي لا جسد له، وبالتالي غير قابل للفساد» (ص ١١). لذا، كانت نتيجة هذه الطريقة في فهم الله، أنّ أوغسطينُس الذي تبنّى طريقة الفكر الأفلاطونيّ الجديد Néo-platonisme، رأى ضرورة الجهد المستمرّ للإقلاع عن العالم المادّيّ، والتجرّد عن الأهواء الجسديّة (ص ١٢-١٥). فأصبحت الحركة الروحيّة قائمة على التجرّد والارتقاء، وبالتالي حصلت القطيعة مع عالم المحسوسات، وبين الجسد والروح. فأضحت العلاقة بالله علاقة خضوع Subordination.

غير أنّ عالمنا المعاصر، الذي عاش انتقالًا من العالم القديم إلى العالم الجديد، في الحقول الفلسفيّة والسياسيّة والعلميّة، يتميّز بشيوع افتراض سابق هو دور الإنسان في العمل وتحويل العالم. وهذا الأمر أصبح النمط الجوهريّ الذي على أساسه «نفكّر ونعيش ونرغب ونحكم ونقرّر» (ص ٣٠). إلّا أنّ هذا الواقع الذي تفيض فيه المنتوجات والتقنيّات الذهنيّة التي تتسبّب بتجريد كبير Abstraction، يمثّل جملة عوائق جدّيّة في وجه حياة الإنسان ضمن جماعة البشر (ص ٣٥)، إضافة إلى أنّ هذا التغيّر في أوضاع الخبرة الإنسانيّة يُطبّق على طريق ولوج الإيمان أيضًا.

ومن هنا، يُطرح السؤال عن الجسد: هل لا يزال الجسد يرمز إلى ما هو عدوّ الطبيعة البشريّة؟ أم هو بالأحرى ذلك القسم المنازع في إنسانيّتنا، الذي يحاول أن يقول لنا، على قدر ما يستطيع، إنّنا تائهون، والذي يستطيع أن يسدي إلينا خدمات جلّى إن سمعناه؟ إنّ ما اتّضح عبر التاريخ هو، في الواقع، أنّ الله هو مَن أتى إلى الإنسان، لا الإنسان مَن ارتقى إلى الله (ص ٤). والوحي لا يتّخذ كامل معناه إلّا إذا كان تسليمًا لله ومشاركة معه. لذا، فطريقة استقبال الله لا تكون عن طريق الجهد من أجل الارتقاء الروحيّ، الذي يقوم على علاقة خضوع بين الإنسان والله، بقدر ما تتمّ من واقع الإنسان الجسديّ نفسه، كما يتّضح في سفر نشيد الأناشيد، وكما عبّر عنه القدّيس إغناطيوس دي لويولا في كتاب الرياضات الروحيّة: «يقوم الحبّ على العطاء المتبادل، أيّ إنّ المحبّ يعطي المحبوب ما له أو جزءًا ممّا له أو من إمكاناته، وكذلك المحبوب يبادل المحبّ...» (رقم ٢٣١).

إنّ فكرة «الخضوع» في العلاقة بين الإنسان والله، هي التي يركّز الأب بوسّيه عليها في

فصل كتابه الثاني، عن طريق التطرّق إلى نصّ التراتبيّة السماويّة (ص ٤٨). فهذا النصّ يكشف عن شكل سلطةٍ تراتبيّة وعن حركة «تسلّم وتسليم» تكمن في صميم المشاركة في السلطة (ص ٥٤-٥٦)، في حين أنّه، في العالم الذهنيّ المعاصر، تأتي في المنزلة الأولى أنماط العلاقة والغيريّة Altérité.

وفي نظر الأب بوسّيه، إنّ اتّباع الكنيسة نمطاً تراتبيّة الخضوع، جعلها لا تولي التاريخ منزلته التي يستحقّها، وجعلها غير منسجمة مع أشكال الفكر التي تطوّرت في العالم، والتي تتّصف بنزعةٍ تاريخيّة صرف. فمبدأها هو الحرّيّة والفكر الناتج من تلك الأشكال عينها (ص ٥١). على أنّ الأمر لا يتّصل بتبنّي العالم الراهن، كما حصل عندما تبنّت الكنيسة العالم القديم، بل بلقاء هذا العالم، والإقلاع عن مواجهته (ص ٥١).

وخير ما نختم به هذه القراءة، هو قول مقدّم الكتيّب، الأب كريستوف ڤيوبالد، بأنّ هذين النصّين الوجيزين يستحضران في بالنا رجلًا كانت رغبته الجامحة في أن يتمكّن كلّ واحد منّا أن يفكّر بنفسه (ص ٦).

الأب صلاح أبو جوده

كتب وصلت مؤخّرًا إلى المجلّة

- رجل الله البطريرك إسطفان الدويهيّ. سيرة قداسة، تأليف الدكتور طانيوس نجيم، منشورات رابطة البطريرك إسطفان الدويهيّ الثقافيّة، زغرتا - إهدن، ٢٠٠١، ٤٨ ص. - هو الكرّاس رقم ٣١ في سلسلة هذه المنشورات، وقد سبقه نظيره بالفرنسيّة وبقلم المؤلّف نفسه. ومعلوم أنّ دعوى تطويب البطريرك العلّامة أُطلقت منذ مدّة وجيزة.
- لاهوت التحرير الآسيويّ، تأليف ألويزيوس بييريس، نقله إلى العربيّة بتصرّف وقدّم له الأب وليم سيدهم اليسوعيّ، سلسلة «دراسات لاهوتيّة»، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠١، ٣٧٦ ص. - ثالث ثلاثيّة للأب سيدهم، بعد كتاب لاهوت التحرير في أميركا اللاتينيّة (١٩٩٣) وكتاب لاهوت التحرير في آفريقيا (١٩٩٧).
- الألم. هل من معنى؟ تأليف الأب نادر ميشيل اليسوعيّ، سلسلة «الحياة الروحيّة»، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠١، ٦٤ ص. - يعالج موضوع الألم على نحوٍ تأمّلي يستوحي سِفْرَي المزامير وأيّوب ومعاناة المسيح.
- خواطر في الفقر الاختياريّ، للأب فاضل سيداروس اليسوعيّ، سلسلة «الحياة الروحيّة»، دار المشرق، ٢٠٠١، ٩٠ ص. - المؤلّف معلّم المبتدئين في رهبانيّته (إقليم الشرق الأدنى)، وقد سبق كتابَه هذا في العام الماضي مؤلّف بعنوان خواطر في الطاعة الرهبانيّة.
- خواطر في التبتّل المكرّس، تأليف الأب فاضل سيداروس، سلسلة «الحياة الروحيّة»، دار المشرق، ٢٠٠١، ١٢٤ ص. - إنّه مكمّل الثلاثيّة التي خصّ بها المؤلّف النذور

الرهبانيّة المعروفة، وهو يعالج الموضوع على نحو موسّع بعد أن صدر مختصرًا في «موسوعة المعرفة المسيحيّة»، دار المشرق، العام ١٩٩١.

- قصّة سمّو بشارة، تأليف باشرة أبو جوده، مركز الدراسات والأبحاث المشرقيّة - الجامعة الأنطونيّة - لبنان، ٢٠٠١، ١٥٢ ص. - قصص للأطفال من نوع جديد، فهي تبتعد عن الخيال الخرافيّ وتنطلق من واقع الحياة، تصوّر جمال الفضيلة بأسلوب ظريف محبّب. والإخراج بديع والصور بديعة.
- الكنائس الشرقيّة، تأليف الدكتور جان صقر، مطابع شمالي آند شمالي، بيروت، ٢٠٠١، ٤٨٦ ص. - إنّها الطبعة الثالثة بعد طبعة ١٩٨٥ وطبعة ١٩٩٤. وهذه الأخيرة موسّعة مدقّقة، وهي وثيقة قيّمة تزخر بالمعلومات عن جميع الطوائف المسيحيّة الشرقيّة في لبنان والعالم، وبالتالي تعتبر مرجعًا ثمينًا لكلّ باحث يُعنى بالشؤون المشرقيّة.
- *Quand pleurent les étoiles*, par Jean-Luc Angelis, Éditions du Triomphe, Paris, 2001, 220 p. – رواية للشبيبة كتبها صحافيّ شابّ تمرّس في الحياة الكشفيّة وزار بلدانًا كثيرة، منها سورية التي عاش فيها صغيرًا بضع سنوات لمّا عمل والده خبيرًا ماليًّا لدى رئاسة الوزارة في الثمانينيّات. وفي الكتاب الشائق عدّة صفحات خُصّت بها دمشق ومعلولا وسواهما.